أثر التجربة النِضالية عند أطفال الحجارة بفلسطين في الشعر العربي المعاصر
قراءة أسلوبية في القصيدة المعلقة : (شعبٌ أبابيل) للشاعر الفلسطيني المهاجر: أحمد عيد رضا مراد

د.شعبان إبراهيم حامد

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة المنيا

Doi : 10.12816/0055868

مجلة الدراسات التربوية والانسانية . كلية التربية . جامعة دمنهور

المجلد العاشر – العدد الرابع – الجزء الثالث –(أ)– لسنة ٢٠١٨

DOI : : 10.12816/0053048

أثر التجربة النِضالية عند أطفال الحجارة بفلسطين في الشعر العربي المعاصر
قراءة أسلوبية في القصيدة المعلقة : (شعبٌ أبابيل)
للشاعر الفلسطيني المهاجر: أحمد عيد رضا مراد

د.شعبان إبراهيم حامد

Doi : 10.12816/0055868

مقدمة:

يعد الحديث عن تجارب المقاومة في العصر الحديث بصفة عامة ، والمقاومة الفلسطينية بصفة خاصة من الموضوعات المهمة التي شغلت فضاء الشعر في العصر الحديث والمعاصر، وكان موضوع كثير من أطروحات الباحثين والدارسين ، لدور هذه التجارب في إلهاب عواطف الشعراء وتفجير طاقات الإبداع والتعبير عندهم ،مما أثرى الفضاء الموضوعي والأسلوبي للشعر في العصر الحديث والمعاصر ، وخلق خطابًا شعريًا متميزًا ومتفردًا في جمالياته.

وفي ضوء هذه الأهمية جاءت فكرة هذا البحث وهى أثر التجربة النِضالية عند أطفال الحجارة بفلسطين في الشعر العربي المعاصرمن خلال قراءة أسلوبية في القصيدة المعلقة (شعبٌ أبابيل) للشاعر الفلسطيني المهاجر (أحمد عيد رضا مراد)، بغرض رصد تجليات هذه التجربة في هذا الشعر سواء على مستوى الموضوع أو الأسلوب ، والوقوف على الدلالات والرسائل التي خلّفتها هذه الحالة من التعاطي مع هذه التجربة من جانب هذا الشعر، كما هو الحال مع القصيدة المعلقة(شعبٌ أبابيل).

فالنتائج المتوقع الوصول إليها من هذه الدراسة كثيرة ومتعددة ، منها ما يتعلق بإشكالية البحث (التجربة النِضالية عند أطفال الحجارة بفلسطين) ، ومنها ما يتعلق بنص الدراسة (القصيدة المعلقة:شعبٌ أبابيل) ، ومنها ما يتعلق بالمبدع وهو الشاعر (أحمد عيد رضا مراد).

وقد وقع الاختيار على (الأسلوبية) منهجًا للتحليل لقدرتها على الكشف عن مدى قدرة الشاعرعلى التعبير عن الأفكار و التجربة الشعرية عنده من خلال اللغة اختيارًا وتوزيعًا وهو ما يعرف بـ(محوري الاختيار والتوزيع) ، مما يسهم في الكشف عن شاعرية الشاعر وشعرية النص (شعبٌ أبابيل)، بما يسمح بتقييم هذه التجربة الشعرية الجديدة والمغمورة عند أحمد عيد رضا مراد ، كذلك القيمة الفنية والجمالية لنص الدراسة (شعب أبابيل).

وقد جاءت هذه الدراسة في مهاد وخاتمة يتوسطهما خمسة محاور هى:

١-التجربة النِضالية وخطابُ العُنوان في القصيدة.

٢-التجربة النِضالية وخطابُ المقاومة في القصيدة.

٣-التجربة النِضالية وخطابُ البطولة في القصيدة.

٤-التجربة النِضالية وخطابُ التَهكم والسخرية في القصيدة.

٥-التجربة النِضالية وخطابُ الترقب في القصيدة.

مهاد:

التعريف بالقصيدة (موضوع البحث) .

القصيدة (موضوع البحث) هى(المعلقة اللامية المُرادية: شعبٌ أبابيل) ، كما نعتها صاحبها الشاعر أحمد عيد رضا مراد[1] نسبة إلى حرف رويِّها (اللام) على عادة القدماءتأسيًا بـ (كعب بن زهير) في لاميته (بانت سعادُ) ، ونسبة للقب الشاعر (مراد).

[1]-الشاعر أحمد عيد رضا مراد ، أحد الشعراء المعاصرين من مواليد فلسطين عام ١٩٣٧م ، هاجر إلى كندا وأقام فيها حتى تاريخ نشر هذه القصيدة وهو عام ٢٠١٨م، وله نشاطاته الأدبية والعلمية والإدارية الكثيرة فيها أهمها رئاسة مجلس إدارة المركز العربي الكندي للثقافة والإعلام :انظر في ذلك:ملحق كتاب :شعب أبابيل –ط٣ –المركز العربي الكندي للصحافة والإعلام أوتاوا –كندا ٢٠١٨ ص ٣٤٥وما بعدها و: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين–جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ١٤١٩هـ/٢٠٠٨م– الكويت– فهارس الشعراء –باب الهمزة.

ولم تُنشرْ هذه القصيدة في ديوان شعر تقليدي للشاعر، وإنَّما نُشرتْ ضمن قصائد أخرى تتعلق بالقدس وفلسطين في كتاب حمل عنوانها،وهو (شعبٌ أبابيل)[٢]، في إشارة من الشاعرالى أهمية موضوع القصيدة ، ومنزلتها من نفسه لدرجة أنه عنون باسمها الكتاب ، من باب التعبير بالجزء عن الكل لأهمية هذا الجزء ومنزلته بالنسبة للشاعر.

وقد جاءت هذه القصيدة في مائة وتسعة أربعين بيتاً ،على الرغم من أنَّ الشاعر ذكر أنَّ معلقته قد قاربت مئة وأربعين بيتاً فقط[٣] ، وقد بدأت بهذا المطلع :[٤]

اقذفْ حصاك فإنَّها سجيلُ أنت الخلاصُ وما سِواك مثيلُ

وانتهت بهذه النهاية كما ذكر الشاعر نفسه:[٥]

ولُربَّما ٠٠٠ ولُربَّما ٠٠٠ ورُبَّما اقذفْ حصاك فإنَّها سجيلُ

ويبدو أنَّ أبياتاً زيدت من جانب الشاعر على القصيدة عند نشرها،وهى الأبيات التالية: [٦]

يا من قهرتّ الموتّ مثل يسوعهِ يسمو بذكر كلاكما[٧] التقديسُ

إنْ يصلبوك! فأنت فوق رؤوسهم وإذا علوتَ على الجباه تدوسُ

شابهتَ فيما يفعلون مسيحنا فلنا بفعلك فرقـــدٌ وطقوسُ

فلأنتَ شيخٌ في الصلاة إمامنا ومع الكنيسة راهـــبٌ قديسُ

---

[٢]– نشر هذا الكتاب :المركز العربي الكندي للثقافة والإعلام– اوتاوا–كندا وقد ختمه الشاعر بملحق عن سيرته الذاتية ص ٢٤٥ وما بعدها

[٣]–انظر:شعب أبابيل– مرجع سابق ص ٥١

[٤]–انظر: تفسه: ص٦٥

[٥]–انظر:نفسه: ص ٧٨

[٦]–انظر :نفسه نفس الصفحة

[٧] -الأصل أن تأتي الكلمة مجرورة على هذا النحو (كليكما) لأنها مضاف إليه ، فقد يكون الشاعر استعمل لغة من لغات العرب تجيز له هذا الانحراف النحوي أو قد يكون خطأ غير مقصود وقع فيه الشاعر،

وقد يكون السبب في هذه الزيادة أنَّ الدفقة الشعورية عند الشاعر لم تنته بانتهاء القصيدة ، وأنَّ أبيات هذه القصيدة لم تستطع احتوائها ، فجاءت هذه الأبيات الزائدة والمنزاحة عن الأصل لتحتوي هذا السيل من الشعور المتدفق عند الشاعر تجاه هذه التجربة النضالية عند أطفال الحجارة بفلسطين ، مما يعكس أثر هذه التجربة على نفس الشاعر ، وامتلاكها لعقله ووجدانه لدرجة أنَّها جعلتْ نفسه سيَّالة بالشعر لاتكاد تتوقف.

وواضح أنَّ القصيدة انتهت بما بدأت به، وهو قول الشاعر(اقذفْ حصاك فإنَّها سجيلُ...) مما يدل على أهمية هذا القول بالنسبة للشاعر، فهو بمثابة الجملة الحاكمة في القصيدة أوالجملة المفتاح،لأنه يعكس خيار الشاعر الوحيد في حل قضية وطنه(فلسطين)، وهوالاستمرار في الجهاد ومقاومة العدو بكل أسباب القوة ، وعدم الركون إلى خيارات أخرى غير خيار المقاومة كخيارات المفاوضات أوالخطب الجوفاء ، أوالدبلوماسية الخادعة.

كما نلحظ أنَّ الشاعر عُنى بالجانب الموسيقي في القصيدة،فقد استهلها بالتصريع ، وهو توافق الحرف الأخير (اللام) بين ضرب البيت وعروضه في كلمتي (سجيل ومثيل) ، وذلك على عادة القدماء ، وقد ذكره ابن رشيق القيرواني في قوله: "هو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصه وتزيد بزيادته"[٨].

ويُرجعُ الدكتورشوقي ضيف وجود (التصريع) في الشعر إلى تأثره منذ نشأته بالغناء والرقص ، فيقول:"وآثار الرقص والغناء في الشعر الجاهلي لاتتضح في تساوي التقاسيم الزمنية والإيقاعات المتماثلة ولوازم الروي المتحدة في كل بيت من أبيات القصيدة فحسب،بل هى تتضح– أيضا –في جوانب كثيرة ،منها التصريع بين شطري البيت وخاصة في المطلع،حتى يُتيحوا لصوت الشاعر مركزين

[٨]-العمدة في صناعة الشعر ونقده –ط١–مطبعة السعادة بمصر–١٢٢٥هـ/١٩٠٧م–ص ١٠٢

يتوقف عندهما في استهلال النشيد، وحتى يصفوا الآذان لقرار النغم المكرر في القصيدة"[٩].

كما استخدم الشاعرحرف (اللام) ليكون رويًّا للقصيدة تأسيًّا بـ (لامية كعب بن زهير: بانت سعاد) كما سبق الإشارة والتي مطلعها:[١٠]

بانتْ سعادُ فقلبي اليوم متبولُ متيّم إثرها لم يـُفدَ مكبولُ

لأهمية حرف الروي في التعبيرعن انفعالات الشاعر، وتوصيل رسالته إلى الآخر ، فهو آخر ما يقرع أذن السامع من البيت، فـ (اللام) من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة كالراء والنون، وهو صوت مجهور يتميز بالوضوح الصوتي[١١]، فهو أقدر على توصيل رسالة الشاعر وانفعالاته إلى المتلقي ،لاسيما وأنَّ الخطاب في القصيدة خطاب ثوري يغلب عليه التوتر والحدة كما يتضح من البحث لاحقًا.

ولعل في عناية الشاعر بالجانب الموسيقي منذ مطلع القصيدة ما يدل على بصره بالشعر وقوانين صياغته ، وانتمائه للنموذج القديم في تاريخ هذا الشعر، مما يجعل من قصيدنه (شعبٌ أبابيل) نموذجًا شعريًا يتمتع بالأصالة، ويحمل في طياته روح الشعر القديم: لفظًا وتراكيبًا، وهذا هو السبب فيما يجده القارئ في القصيدة من ألفاظ صعبة تحتاج إلى معجم لتفسيرها، وكأنَّه يقرأ لإحدى معلقات العصر الجاهلي.

والذي يهمنا تأكيده في هذا المقام،هو أنَّ موضوع القصيدة جاء احتفاءً من بتجربة (أطفال الحجارة) بفلسطين في النضال ،الذين ضربوا أروع الأمثلة في البطولة في العصر الحديث بسبب صمودهم أمام العدو الصهيوني رغم تفوقه العسكري، وقلة حيلة هؤلاء الأطفال وعدم إمكاناتهم المادية والعسكرية، فسلاحهم الوحيد هو الإيمان بالله تعالى وبعدالة قضيتهم ، ثم هذا الحجر الصغير الذي

---

[٩]—فصول في الشعر ونقده –ط٣–دار المعارف–١٩٧١م ص /٣٢

[١٠]– انظر: ديوان كعب بن زهير/تحقيق وشرح وتقديم /علي قاعور/دار الكتب العلمية– بيروت –لبنان– ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ص٦٧

[١١]–انظر:الأصوات اللغوية– د/إبراهيم أنيس – بدون ط–مكتبة نهضة مصر ومطبعتها–بدون ت –ص ٥٤ وما بعدها

بأيديهم والذي صنع صنيعه في العدو فأدخل على قلبه الذعر والخوف،الأمر الذي استدعى قريحة الشاعر لتخليد هذه المعجزة المبهرة فكانت قصيدته(شعبٌ أبابيل) ، وهو ما أشار إليه أحمد عيد رضا مراد عند حديثه عن مناسبة القصيدة وموضوعها، فقال:"يبقى طفل/طفلة الحجارة –(شعبٌ أبابيل)– منتها، وسُدى القصيدة ولحمتها،وفيه وعنه كتبتْ ،إنهما يؤديان فرض عين،جموعنا قاطبة والحكام قطعا،جعلته فرض كفاية لاتأثيم على كلاهما في تركه."[١٢]

المبحث الأول:

التجربة النضالية وخطاب العنوان في القصيدة:

يعد فضاءُ العنوان من أهم فضاءات العمل الأدبي لوضعية العنوان في الخطاب، فالعنوان هو أول ما تقع عليه عين القارئ والمتلقي في الخطاب ، ويناط به– دائماً– مهمة جذب القارئ والمتلقي وتحفيزهما لقراءة العمل الأدبي ،والولوج إلى فضاءاته المختلفة.

ولهذه الأهمية القصوى للعنوان اُعتبر العنوان في الخطاب النقدي الحديث نصًا موازيًا للنص الرئيس أو للنص المتن، واُعتبر أيضاً– أحد عتبات هذا النص بجانب الغلاف ، والاستهلال ، والتقديم ، والإهداء، وغير ذلك من العناصر الأخرى التي تحيط بالنص المتن وتمهد له التي أطلق عليها(جيرار جينيت) اسم المناص[١٣]، بل" يعد العنوان من أهم عناصر المناص"[١٤] ولاتقف مهمة العنوان عند الوظيفة الإغرائية فحسب ، بل هناك وظائف أخرى منها الوصفية والتعينية والإيحائية[١٥]،مما

[١٢]–انظر:شعب أبابيل– ص٥١–٥٢

[١٣]–انظر:عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)– عبد الحق بلعابد– تقديم د.سعيد يقطين– ط١ الدار العربية للعلوم – منشورات الاختلاف – الجزائر ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م ص ٦٥

[١٤]–انظر:نفسه / نفس الصفحة

[١٥] –انظر:نفسه/نفس الصفحة

يمنح العنوان ميزة على باقي عناصر النص الموازي، فبه يأخذ العمل وجوده وتتحقق هويته.[١٦]

فإذا جئنا إلى عنوان القصيدة وهو(المعلقة اللامية المرادية:شعبٌ أبابيل) ، نجد أنَّ هذا العنوان قد تشكل في ضوء تأثير إيحاءات التجربة النضالية عند أطفال الحجارة بفلسطين وظلالها على الشاعر ، فقد استخدم الشاعر كلمة (المعلقة) وصفاً لقصيدته كرمز أدبي عبَّرمن خلاله عن منزلة هذه القصيدة من نفسه وتفردها في موضوعها وصياغتها، لما تحمله كلمة (المعلقة) في تاريخ الأدب العربي من رمزية التفرد والتميز، فما سميت بهذا الاسم إلَّا لكونها من عيون الشعر الجاهلي ومن أنفسه، فهى من العلق وهو الشئ النفيس [١٧]،أو لأنها كانت تعلق على أستار الكعبة على أرجح الأراء، اعتزازًا بجودتها وسمو تراكيبها، وإن كان هذا التفسير من باب الأساطير ، كما ذهب إلى ذلك الدكتور شوقي ضيف[١٨].

ومن هنا ندرك أهمية وجود هذه الكلمة في العنوان، فقد جعلت القارئ والمتلقي في حالة انجذاب لهذه القصيدة ، وجعلتهما يستدعيان المعاني والظلال التي تحيط بهذه الكلمة(المعلقة) من حيث طول أبياتها وجودتها ورصانتها وظروف نشأتها، وأثارت –أيضا– استفهامات كثيرة حول علاقة هذه القصيدة (شعبٌ أبابيل) بالمعلقة ، مما يثري قراءة هذا العنوان، ويجعلها قراءة منتجة،لاسيما إذا أدركنا أهمية العنوان وخطورته في الخطاب الشعري أو الأدبي بصفة عامة كما سبق الإشارة ، فالعنوان"يظل مع الشاعر أو الكاتب طالما هو مشغول بعمله الأدبي" [١٩]، وهو "النداء الذي يبعثه العمل الأدبي إلى مبدعه، وآخر ما ينسى من العمل الأدبي في معظم

---

[١٦] -انظر في ذلك:العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي-د/محمد فكري الجزار-الهيئة المصرية العامة للكتاب-١٩٩٨م

[١٧]انظر:: العصر الجاهلي– د/شوقي ضيف –ط١٣–دار المعارف – القاهرة ص١٧٦

[١٨]-انظر:نفسه /ص ١٤٠

[١٩] --مدخل إلي علم الأسلوب–د/شكري محمد عيَّاد– –ط٢– المشروع للطباعة والتكسير –القاهرة ١٩٩٢ص٧٤

الأحيان "[٢٠]، وهو"ضرورة كتابية ، فهوبديل من غياب سياق الموقف بين طرفي الاتصال"[٢١]

أسهمت كلمة (المعلقة)–إذن– في تشكيل شعرية العنوان، وكانت رمزًا مشعًا ومعادلًا لكثير من المعاني المتعلقة بالقصيدة عند الشاعر ودالة عليه بطريق الإيحاء وليس المباشرة،مما يتيح الفرصة أكثر للتأويل من جانب القارئ والمتلقي،لأنَّ المباشرة تقتل روح النص.

ثم تأتي كلمة (أبابيل) في العنوان لتكون وصفًا لكلمة (شعب) ومعناها الجماعة المتفرقة من الطير على أرجح الأقوال[٢٢]، وهى مأخوذة من قوله تعالى في سورة الفيل (وأرسل عليهم طيرًا أبابيل.."[٢٣]، والمقصود في الآية الكريمة هنا قوم أبرهة الأشرم الذين سولت لهم أنفسهم الإقدام على هدم الكعبة المشرفة قبل بعثة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، فجاءت هذه الكلمة (أبابيل) وصفًا للطير الذي أرسله الله تعالى عليهم، وفي سياق الحديث عن عذاب الله وإهلاكه لهؤلاء القوم ، مما جعلها تحمل رمزية التخويف والزجر والسرعة في الانتقام ممن وجب لهم العذاب من الله تعالى.

وقد استثمر الشاعر إيحاءات هذه الكلمة في الآية الكريمة، وأضفى عليها من انفعالاته وأحاسيسه ، وجعلها وصفًا لشعب فلسطين ، ليكسبه هذه الرمزية ، رمزية الزجر والتخويف، ويضفي على هذا الشعب هالة من البطولة التي ترهب عدو الله وعدوهم.

١٩–المرجع نفسه/نفس الصفحة.

٢٠–العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي–مرجع سابق ص٤٥

[٢٢]–انظر:تفسير الطبري–موقع إسلام ويب–تفسير الجزء الرابع والعشرين ص ٦٠٣–٦٠٥ الموقع على الانترنت
http://www.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=5108&idto=5108&bk_no=50&ID=5213

[٢٣]–:سورة الفيل –آية ٣

وتبرز هنا أهمية (التناص) مع النصوص الأخرى في التعبير عن تجارب الشعراء ، ومعناه" تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حديث بكيفيات مختلفة"[٢٤]، فقد تناص الشاعر هنا مع سورة الفيل كما سبق الإشارة إلى ذلك ، حيث أعاد إنتاج معنى كلمة (أبابيل) ، ونقلها من سياق الحديث عن الطير للحديث عن صفة شعب فلسطين ، مما أسهم في إنتاج المعنى والدلالة المرادين في نفسه، فالتناص "ليس مجرد عملية يقوم بها الشاعر دون أن يكون لها وظيفة ، وإنَّما هو عملية تفجير لطاقات كامنة في هذا النص يكتشفها شاعر بعد آخر ، كلٌّ حسب موقعه وإحساسه الشعوري الراهن"[٢٥] ، وعن طريق التناص "لم يعد النص تلك البنية المغلقة بل أضحى فضاءً تتشابك فيه النصوص وتخترق الزمن والإيديولوجية"[٢٦]

كما نلحظ أن التشكيل الصوتي لكلمة (أبابيل) يوحي بدلالتها ، وهى الانتشار بسرعة، فحرفُ المد (الألف) بعد الباءيفيد الإطلاق وحرية الحركة،كما أنَّ تكرار صوت الباء يوحي بتتابع الحركة.

ولاشكَّ أنَّ وجود هذا الرمز في العنوان حقق شعرية أخرى لهذا العنوان بجانب الشعرية التي حققتها كلمة (المعلقة) ، حيث أصبح العنوان أكثر إثارةً واستدعاءً لذهن القارئ والمتلقي ، وأكثر تساؤلًاعن العلاقة التي تربط كلمة (شعب) بكلمة (أبابيل) ، فتصبح القراءة أكثر إنتاجًا للمعنى، ويصبح العنوان هنا متخطيًا لوظيفته التميزية إلى وظيفة أخرى هى الوظيفة الجمالية الفنية.

كما نلمح أنَّ الشاعر اختار كلمة (شعب) في العنوان بدلًا من كلمة (أطفال) ، على الرغم من أنَّ الحديث في القصيدة متعلق بصورة أساسية بمعجزة (أطفال الحجارة) ، ليضفى على هؤلاء الأطفال معنى الكثرة التي هى من أسباب القوة،

---

[٢٤] تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)– د/محمد مفتاح–ط٣ المركز الثقافي العربي–الدار البيضاء –١٩٩٣– ص ١٢١

[٢٥] –– الشعر العربي المعاصر(قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية)–د/عز الدين اسماعيل–ط٣ ٠(د–ت) دار الفكر العربي القاهرة – ص ٣٢

[٢٦] –التناص في شعر أبي نواس –د/ محمود سالم عبيدات– رسالة دكتوراه غير منشورة– جامعة اليرموك– الأردن –٢٠٠٧م ص١٣١

فالشعب من التشعب[٢٧]، وهنا تبرز أهمية محور الاختيار أوالاستبدال في صناعة الأسلوب ، فالشاعر يختار من معجمه ما يشاء، ويستبدل كلمة بأخرى للتعبير عن مراده، والتأثير في القارئ والمتلقي ، وهو ما يعد الغاية من الأسلوب.

جاء تشكيل عنوان القصيدة–إذًا– دالًا وموحيًا بأثر التجربة النضالية عند أطفال الحجارة في شعر أحمد عيد رضا مراد ، فقد جاء هذا العنوان يحمل رمزية البسالة والبطولة ، كما يعكس إعجاب الشاعر واحتفائه بهذه التجربة، وقدرته–أيضًا– على توظيف العلامات اللغوية لخدمة المعنى عنده ، فقد استطاع أن يجعل لغة العنوان لغة تتمتع بالسيميولوجية والعلاماتية، وتتخطى حدود الدلالة اللفظية الضيقة إلى آفاق أرحب من الدلالات والإشارات على تجربة أطفال الحجارة في المقاومة والنضال، فقد تحول العنوان إلى خطاب يمارس به الشاعر سلطة ما على القارئ والمتلقي للتأثيرفيهما وإقناعهما بهذه التجربة الفريدة في المقاومة والنضال ، وهو الغاية من الإبداع بصفة عامة ،فالمبدع لايبدع لنفسه ،وإنَّما يبدع لغيره.

[٢٧] –انظر:المعجم الوسيط –مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط٤ – مكتبة الشروق الدولية – ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ– باب الشين– ص ٤٨٦

المبحث الثاني :
التجربة النضالية وخطابُ المقاومة في القصيدة:

كان للتجربة النضالية عند أطفال الحجارة بفلسطين الفضل في إذكاء روح المقاومة عند الشاعر في القصيدة ،فقد رأى الشاعر في هذه التجربة ما يشفي غليله من عدوه وعدووطنه(العدو الصهيوني)، الذي كان ولايزال وراء كل أزمة يعاني منها أبناء فلسطين حتى الآن ،فهو السبب في هجرة الشاعر وغيره من وطنهم (فلسطين)، والتغرب عنه طيلة الحياة متحملين من أجل ذلك ثُلَّ الغربة وعناء العيش في بلاد المهجر ، ولذلك وجد الشاعر في هذه التجربة النضالية عند أطفال الحجارة فرصة سانحة لتوجيه سهامه تجاه هذا العدو والتحريض على مقاومته، فتحول فضاء القصيدة إلى ساحة مقاومة استخدم الشاعر فيها كُلَّ أسلحته اللغوية والتعبيرية لتوصيل رسالته المناهضة لهذا العدو.

وأبرز هذه الأسلحة وأهمهااستخدام الشاعر لأفعال الأمر بكثرة التي تحث على المقاومة ومجابهة هذاالعدو الصهيوني، لقدرة هذه الأفعال على نقل مراد المتكلم إلى المخاطب مباشرة ،واستدعاء ذهنه، واستثارة همته، فالأمر هو"طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى ،حقيقة أو ادعاءً"[٢٨]،وهو يأتي بأربع صيغ هى:[٢٩] ١–فعل الأمر المباشر ٢– الفعل المضارع المقرون بلام الأمر ٣–اسم الفعل ٤–المصدر.

والأمر ينتمي إلى الإنشاء الطلبي ، وهو"ما يقتضي مطلوبًا غير حاصل عند وقت الطلب"[٣٠]، كالاستفهام والنداء والأمر والنهي والتمني، وغيرها من الأقسام التسعة الأخرى[٣١] ، والإنشاء الطلبي "كثير الاعتبارات وتتوارد عليه المعاني التي

---

[٢٨]-- الأساليب الإنشائية في النحو العربي– عبد السلام محمد هارون– ط٥ مكتبة الخناجي –القاهرة ١٤٢١هـ–٢٠٠١م ا/ ص ١٤

٢٠–انظر المرجع نفسه: نفس الصفحة.[٢٩]–

[٣٠]–/دلالات التراكيب (دراسة بلاغية) – د/محمد محمد أبو موسي– ط٢ مكتبة وهبة القاهرة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م/ص ٢٦٦

[٣١]–انظر –الأساليب الإنشائية في النحو العربي – مرجع سابق ص١٣وما بعدها ،وانظر:– معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب – مجدي وهبة وكامل المنهدس–ط٢ مكتبة لبنان –بيروت ١٩٨٤–ص٦٣

تجعله من الأساليب الغنية ذات العطاء والتأثير"[٣٢]، وإنَّما تكون اللغة"آدبا من غيرها إذا اشتملت علي الإنشاء أكثر من غيرها"[٣٣]

وقد جاء الأمر في القصيدة بصيغة الفعل المباشر كما هو الحال في الفعل (اقذف) في قول الشاعر:اقذف حصاك...، الذي تكرر حوالي سبع مرات تقريًبا، على النحو الآتي:

اقذفْ حصاكَ فإنَّها سجيـلُ أنت الخـلاصُ وما سـواك مثيلُ[٣٤]

اقذفْ حصاك ولاتبال بإفكهم غِمَدَ شعب سيفـ ُـهُ مفلـــــولُ[٣٥]

اقذفْ حصاك فلن تطيش بسهمها ولكم تطيبُ مع الصعاب حلولُ[٣٦]

فاقذفْ بها والله يرمي ما رميت سهمـه لايُ كـــــذبنَّ وكيـــل[٣٧]

فاقذفْ حصاك ولاتبال بعدِّهم فئـةُ البغاة مع الحديـــــد فلـول[٣٨]

واقذفْ حصاك ولاتبال بكيدهم كيـدُ العـــــدا في نحـره مغلول[٣٩]

ثم ختم الشاعر به القصيدة ،فقال:

ولُربَّمـا...ولُربَّمـا...ُربَّما قذف حصاك فإنـَّه سجيلُ[٤٠]

نلحظ من خلال الأبيات السابقة من القصيدة تكرار جملة (اقذف حصاك...) سبع مرات كما سبق الإشارة ، فقد أخذ هذا التكرار شكل (اللازمة) ، وكأنَّها الجملة

---

[٣٢]-دلالات التراكيب-مرجع سابق ص٢٦٦

[٣٣]-المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم- د/عبد الفتاح لاشين – د. ط-دار الفكر العربي- القاهرة-٢٠٠٣ م ص١٤١

[٣٤]- انظر:شعب أبابيل: ص/٦٥

[٣٥]ظر:نفسه: ص/٦٦

[٣٦]-انظر:نفسه:/ ص ٦٧

[٣٧]-انظر:نفسه / ص ٧٢

[٣٨]-انظر:تفسه:/ ص ٧٣

[٣٩]-انظر:نفسه:/ ص ٦٦

[٤٠]-انظر:نفسه /ص٧٨

الحاكمة في القصيدة أو الجملة المفتاح ،فهى تعكس خيار الشاعر في حل مشكلة وطنه وشعبه ، وهو خيار المقاومة ، وليس أي خيار آخر كما سبق الإشارة إلى ذلك في مهاد البحث،لأنَّ التكرار هو إلحاح على طلب معنى معين أو" إلحاح من جانب الشاعر على جهة بعينها في العبارة "[٤١]، وهو يضع بين أيدينا"مفتاحًا للفكرة المتسلطة على الشاعر"[٤٢] ،مما يجعل المتلقي أكثر تأثرًا بالمعنى المرسل إليه من ناحية الشاعر ،وقبولًا له واقتناعًا به.

ولاشكَّ أنَّ هذا اللون من التكرار(تكرار اللازمة) يعمل" على ربط أجزاء القصيدة وتماسكها ضمن دائرة إيقاعية واحدة، وكأنَّها قالب فني متكامل في نسق شعري متناسق، تجعل القارئ لها يحس بأنها وحدة بنائية واحدة ووحدة موسيقية ذات إيقاع واحد، ويكشف هذا التكرار عن إمكانيات تعبيرية وطاقات فنية تغني المعنى وتجعله أصيلًا إذا استطاع الشاعر أن يسيطر عليه وأن يجيء في موضعه، بحيث يؤدي خدمة فنية ثابتة على مستوى النص تعتمد بشكل أساسي على الصدى أو الترديد لما يريد الشاعر أن يؤكد عليه أو يكشف عنه بشكل يبتعد به عن النمطية الأسلوبية"[٤٣]

كما نلحظ أنَّ اختيار الشاعر للفعل (اقذف) دون غيره من الكلمات الأخرى المرادفة لمعناه، له دلالته واعتباره في السياق ، فهو يشعر بجدية الطلب ورغبة الشاعر في الانتقام من العدو ،لأنَّ القذف رمي بقوة وعزيمة،وقد ورد هذا الفعل في القرآن الكريم في سياق العقاب للمخالفين لأمر الله تعالى، فقال الله تعالى في سورة

---

٤١ --قضايا الشعر المعاصر – نازك الملائكة – ط٣–منشورات مكتبة النهضة–١٩٧٦م ص٢٤٢

٤٢–المرجع نفسه ص/٢٤٢–٢٤٣

٤٣-- ظاهرة التكرار في شعر أبي القاسم الشابي دراسة أسلوبية– د/زهير أحمد المنصور ملخص بحث منشورعلى الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت)–موقع ملتقي أهل الحديث:...www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=63828&d

الصافات حكاية على الشياطين " لَايَسَّمَّعون إلى الملأ الأعلى ويُقذفون من كل جانب دحورًا ولهم عذابٌ واصب"[٤٤].

ونلحظ أنَّ البنية الصوتية للفعل (اقذف) تبرز دلالته، وتبرر حضوره في النص عند الشاعر ،فـ(الألف) فيه ألف وصل تتيح الانتقال بسرعة إلى الأمر ،كما أنَّ (القاف) صوت شديد مهموس كما يُنطقُ به عند قراء القرآن الكريم في مصر، على الرغم من أنه أحد الأصوات المجهورة كما في جميع كتب القراءات[٤٥]، والذال صوت رخو مجهور[٤٦]، والفاء صوت رخو مهموس يُسمع له حفيف عال عند النطق به نظرًا لضيق مجرى الهواء[٤٧]، فأصوات الفعل في معظمها مجهورة توحي بالشدة ، مما يتناسب والموقف الشعوري عند الشاعر، وهو الضيق الشديد من عدو وطنه.

كما نلمح اختيار الشاعرلكلمة (حصى) دون كلمة (حجر) للدلالة على التناهي في الصغر، لتظهر معجزة أطفال الحجارة ،وتتضح المفارقة عندما يكون الحصى الصغير سلاحًا يُدحر به العدو الصهيوني بكل عدته وعتاده ،وليدل – كذلك– على الحال التي أصبح فيه شعب فلسطين من العزلة والتضييق عليه ، وتجريده عن قصد من كل أدوات القوة ،فلم يبق لهم غير الحصى ، فالكلمة تخطت الدلالة الأولية والقريبة إلى دلالات أرحب وأشمل،وهنا تبرز أهمية دراسة الكلمة في الاستعمال ، فالكلمة في الاستعمال تتعدد دلالاتها عكس وجودها خارج الاستعمال،"إذ تكون العلامة اللسانية في اللغة دالًا ذا مدلول واحد، في حين تعدد مدلولاتها في مستوى الخطاب ،لأنَّه ميدان استعمالها"[٤٨]

كما أنَّ إضافة كلمة (حصى) إلى كاف الخطاب التي تحيل على أطفال الحجارة فيها دلالة على الملكية والتخصيص، كأنَّ الحصى أصبح علامة وأيقونة

---

[٤٤]-الصافات –آية٨– ٩

[٤٥]-انظر:: الأصوات اللغوية– مرجع سابق –ص ٧٢ وما بعدها

[٤٦]-انظر:نفسه/ ص٤٩

[٤٧]-انظر:شعب أبابيل / ص ٤٨

[٤٨] -استراتجيات الخطاب-دراسة تداولية-عبد الله الشهري/ ص٣٧

على أطفال فلسطين دون غيرهم ، فتجربتهم في المقاومة والنضال تجربة متفردة ولاتتكرر عند غيرهم، كما أنَّ (كاف الخطاب) أشعرت بتعدد الأصوات في البيت وأشعرت بحضور المخاطب أمام المتكلم ، ممّاأضفى حيوية وحركية على الكلام في البيت أسهمتا في إثارة ذهن السامع والمتلقي.

ويتضح مما سبق أهمية اختيار الشاعر لألفاظه فـ"الشعر –تبعًا لتعبير فاليري الدقيق– هو:لغة داخل لغة ، نظام لغوي جديد مبني على أنقاض نظام قديم "[٤٩] وكلما كانت عناية الشاعر باختيار لغته ،كلما كان أدبه ذا تأثير وفاعلية ،.فالعمل الأدبي "ما هو إلّا انتقاء من لغة ما."[٥٠]، ولذلك فإنَّ لغة الأدب"تمثل مستوى فرديًا خاصًا لاحقًا على المستوى العادي ،ومنحرفًا عنه إذا ما قيس إلى القواعد التي تحكم هذا المستوى"[٥١]

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني قديمًا إلى أهمية اختيار اللفظ للتعبير عن المعنى ، فقال:"واعلم أنَّ لكل نوع من المعنى نوعًا من اللفظ هو به أخص وأولى ، وضروبًا من العبارة هو بتأديته أقوم ، وهو فيه أجلى"[٥٢] ، ويقول في موضع آخر عن العلاقة بين المعنى واللفظ :"وليت شعري ، هل كانت الألفاظ إلّا من أجل المعاني ، وهل هي إلا خدم لها ، ومصرفة على حكمها ، أوليست هي سمات لها ، وأوضاعًا قد وضعت لتدل عليها"[٥٣]

وبالعودة إلى الأبيات السابقة ، نلحظ أنَّ الشاعر قد شفع الأمربالنهي ،كما في قوله:

---

[٤٩]–بناء لغة الشعر–جون كوين–ترجمة وتقديم وتعليق–د/أحمد درويش–سلسلة كتابات نقدية–الهيئة العامة لقصور الثقافة –١٩٩٠م ص١٣٦

[٥٠]––نظرية الأدب –رينيه وليك – أوستن وارين – تعريب د/عادل سلامة–دار المريخ للنشر–المملكة العربية السعودية ١٩٩٢ ص ٢٣٧

[٥١]– نظرية اللغة في النقد العربي– د/ عبد الحكيم راضي – بدون ط –مكتبة الخانجي بمصر – بدون ت ص ٤٧٥

[٥٢]– دلائل الإعجاز /قراءة وتعليق محمود محمد شاكر ط٢ –مكتبة الخانجي بالقاهرة– ١٤١٠هـ–١٩٨٩م/ ص ٥٧٥

[٥٣]– المرجع نفسه /ص ٤١٧

اقــذف حصـــاك ولاتبـــال بـــإفكهم،٠٠٠٠٠وقوله:فاقــذف حصـــاك ، ولاتبـــال بعدِّهم٠٠٠وقوله:واقذف حصاك ولاتبال بكيدهم٠٠٠٠وقوله:[٥٤]

لاتُخدَّعنَّ بعرصة نجدية مؤالها برطانة منقول

والنهـي لـون مـن ألـوان الإنشـاء الطلبـي ، قصـد الشـاعر بـه التأكيـد علـى خيار المقاومة عنده، فاجتماع الأمر مع النهي في جملة واحدة أدعى للتأثير في السامع والمتلقي ، لأنَّهما أمران في وقت واحد ، فزيادة المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى.

و كُلٌّها نواهٍ تحذر من الخوف من العدو والانخداع بمظهره ، وتدعو إلى الثبات في مواجهته، وهى مستوحاة من القرآن الكريم كما في قوله تعالى في سورة آل عمران:"لايغ ُرنَّك تقلُّ بُ الذين كفروا في البلاد٠٠٠"[٥٥] ، وقوله تعالى في سورة التوبة:" فلا تُعجْبكَ أموالُهم ولا أولادُهم إنَّما يريدُالله ُ ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسُهم وهم كافرون٠٠"[٥٦] ، وقوله تعالى في سورة آل عمران" وإنْ تصبروا وتتقوا لايضرُّكم كيدُه ُم شيئا"[٥٧] إلى آخر هذه الآيات التي تدعو إلى ثبات المؤمنين أمام أعدائهم في كل زمان ومكان.

وهنا يبرز دور التناص مع القرآن الكريم في التعبير عن المعنى المراد، وإنتاج الدلالة،كما سبق الإشارة إلى ذلك.

ثم تتبعثر أفعال الأمر في فضاء القصيدة كلها ، وكأنَّها طاقة تنبعث من الشاعر تجاه المخاطب وهم (أطفال الحجارة) ، تشد من أزرهم ، وتربط على قلـــوبهم، وتؤكـــد علـــى روح المقاومـــة عنـــده ورغبتـــه فـــي الانتقـــام مـــن

[٥٤]-انظر :شعب أبابيل :٧٤ ، ويقصد الشاعر هنا برقصة الملك السعودي مع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب

[٥٥]-سورة آل عمران-آية ١٩٦

[٥٦]-سورة::سورة التوبة ٥٥

[٥٧]-سورة: آل عمران ١٢٠

العدو ،كالفعل(اجعل) والفعل :(اترك...) في البيت الثاني والثالث من القصيدة [٥٨]:

واجعلْ فعالك في السجال َملاحًما يفنى الزمانُ ولا تراه يـــــزولُ

واترك إلى الأجيال ســـــيرة أُمَّـةٍ فيها الُمحال مع الَهوان يطولُ

ومن أفعال الأمر الأخرى في القصيدة :(حرِّز –أعد– اغرس) في قول الشاعر:[٥٩]

يأأيُّها الطفلُ المفادي أمـةً وتنوبُ عنها في الأسى وتُقيلُ

حرِّز عقولَ اليأسِ من أدرانهـا يبرأ بكيـك سالًم وعليـــــلُ

وأعْد لها قيما ، سديدُ رشادِها يدعو لـه القرآن والإنجيـــلُ

واغرسْ جناك يحينُ آنُ حصاده دربُ المواسِم في النضال طويـلُ

ومنها–أيضًا– (اسرد–اجمع–اثبت–صابر) في قول الشاعر:[٦٠]

فاسردْ حديثك لايُضيُرك كيُدهم في كُلِّ سمعٍ يلتقيه قبـــولُ

وفي قوله:[٦١]

فاجمعْ صليبك والهلالَ بحومـة أسمى مبادئك الأنَام تُنيـــلُ

وفي قوله:[٦٢]

فاثبتْ وصابرْ،لاأبا لك، تُرتجى واسمعْ بقلبك ما ُمرادُ يقــولُ

وهكذا تعكس أفعال الأمر في القصيدة روح المقاومةعند الشاعر ، وإلحاحه عليها، فقد كان كل أمر بمثابة قذيفة يرسلها الشاعر إلى العدو من خلال

---

[٥٨]–انظر:شعب أبابيل:ص ٦٥

[٥٩]–انظر:نفسه ص/ ٧٢–٧٣

[٦٠]–انظر:نفسه/ص ٧٣

[٦١]–انظر:نفسه/ص ٧٤

[٦٢]–انظر /نفسه/ ص ٧٦

مُخاطَبه الحقيقي وهو(طفل الحجارة) ، مما طبع الخطاب في القصيدة بطابع الثورية، كما كشفت هذه الأفعال عن توتر الذات عند الشاعر بسبب أزمة وطنه ، وأسهمت في تفريغ الشحنات المكبوتة عنده ، وخففت من حالة التوتر هذه ، لأنَّها عبَّرتْ عن رغبته في الانتقام من عدوه وعدو وطنه (العدو الصهيوني).

المبحث الثالث:
التجربةُ النضاليةُ وخِطابُ البطولة في القصيدة:

يُعدُ تمجيدُ البطولات والتغني بها ، ومحاولة تقديمها للقارئ والمتلقي من الموضوعات التي حضرت بقوة في تاريخ الأدب العربي منذ العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث[٦٣]، فلايكاد يمرُّ عصر من عصور تاريخ الأدب العربي إلَّا وكان لهذا الموضوع وجوده وتجليه في هذا العصر، وكأنَّ الشعراء رأوا في ذلك وسيلة لانتشال الأمة من الوقوع في حالة الوهن والانهزام النفسي ، وخاصة في فترات الضعف التاريخي والانكسار السياسي ، لأنّ فَي تقديم النموذج البطولي ، والاحتفاء به سبيلًا ناجعًا لإعادة الثقة إلى النفس و الذات ، فالنفس الإنسانية مجبولة على حب القوة ، والتغني بها،وتستمد عزيمتها من قوة الآخر، وتنشط همتها بما تراه وتسمع عنه من قصص النجاح والبطولة في الحياة.

وقد ألهمت تجربة النضال عند أطفال الحجارة بفلسطين الشاعر أحمد عيد رضا مراد هذه الحالة من تمجيد البطولة والعناية بها في قصيدته(شعبٌ أبابيل)، فقد اتخذ من تمجيد هذه التجربة ذاتها موضوعا لهذا الخطاب ، وراح يتغنى بها بكل أساليب التغني ، فقد رأى فيها ما ينفس به عمَّا يجده في نفسه من توتر

[٦٣]-انظر في هذا الموضوع -البطولة في الشعر العربي- د/شوقي ضيف — ط٢ دار المعارف- القاهرة.

بسبب أزمة وطنه، ووجد فيها–أيضًا– منبرًا يبعث من خلاله ما يشاء من رسائل ،حتى يمكننا القولُ بأنَّ خطاب البطولة هو الخطاب العمدة في القصيدة، فقد شغل مساحة كبيرة فيها ، وأخذ مسارات عده .

ومن ملامح هذا الخطاب في القصيدة قول الشاعر مخاطِّبا طفل الحجارة:[٦٤]

أيقظتَ من أَلِفَ الرقادُ عيونَهم ... ثباتها بين الجفون يـُقيلُ

لولاك ما لاح الصباحُ بفجره ... ليـُرجى إليه سبيـــــلُ

اقذفْ حصاك ولاتبالِ بإفكهم ... يا غِمدَ شعب سيفُهُ مفلولُ

فالشاعر ينسب لتجربة هؤلاءالأطفال في الصمود والمقاومة فضل إيقاظ الشعوب التي ألِفَ الرقادُ عيونهم في إشارة منه إلى سلبية الشعوب العربية وتخاذلها عن المطالبة بحريتها وتحررها من العدو الجاسم على صدورها ، فلولا تجربةُ هؤلاء الأطفال ما التفت أحد لقضية فلسطين.

ونلمح هنا جمال التعبير في قوله:ألِف الرقادُ عيونهم٠٠ ،كأنَّ الرُقادَ إنسان يألف ويعشق، وفيه دلالة على منتهى السلبية عند الشعوب العربية وطول ثباتهم وسكوتهم على المطالبة بحقوقهم.

وهنا تبرز أهمية أسلوبية التعبيرعن المعنى، فالإبداعُ " ليس مجرد كتابة قصيدة أو تقديم خطبة،ولكنَّ الإبداع كيف تخاطب الآخرين في موضوعات الخطاب المختلفة بلغة خاصة ،تجعلك قادرًا على الوصول إلى قلوبهم وعقولهم ، وتشركهم معك في الإحساس نفسه الذي تشعر أنت به"[٦٥].

---

[٦٤]-انظر:شعب أبابيل– ص ٦٦

[٦٥]–المنهج الأسلوبي في تحليل الخطاب الإبداعي–د/تحليل عودة–مجلة اللغات والترجمة–كلية الألسن –جامعة المنيا–المجلد الثاني–العدد الثالث–الجزء الأول––٢٠٠٦م ص٣٤

ثم يأتي النداء في قوله:يا غِمَدَ شعب سيفه مفلول٠٠٠ليؤكد على بطولة هؤلاء الأطفال ،فهم غمد لشعب سيفه مفلول أي: مكسور، وقد أفاد النداء هنا التعظيم والتبجيل.

وفي موضع آخر من القصيدة ، يدعو الشاعر بالسلامة والعافية لهؤلاء الأطفال مثمنًا نضالهم وصمودهم ، فيقول:[٦٦]

سلمتْ يمينُكُما فتاة أم فتى	لأنتُما لجباهنا إكليـــــلُ
لأنتُما فصلُ الخطاب ومتنُـه	وسواكُما سقطُ المتاع هزيـلُ
لأنتُما نعتُ النضال وفعلُـه	واهُ في ما يـُدَّعى تعليـلُ
شعبٌ أبابيل تبارك فعلُكم	فكلاكُما نصرٌ لنا مأمـولُ
بيتُما إرثَ الجدود ونُبلَـه	قد كان قبلًا يعتريه أُفُـولُ
وحدتُّما شعبًا تنافر أمرُه	من كل طائفة هناك فصيلُ
خاضوا المعارك جُلَّها بخطابة	وسلاحهم عند النزالِ قليـلُ
تعلو المنابِر منهمو أصواتُهم	كذا المعاركُ جُوقةٌ وطُبُـولُ
ولوقعهم عند المحافل ضجةٌ	ومثيلُهـا عند العِراك هديلُ

نلحظ أنَّ الأبيات قد بدأت بهذا الدعاء في الفعل الماضي (سلِمتْ) ، وقد خصَّ الدعاءُ هنا تحديدًا يمين الأطفال ،على اعتبار أنَّ اليد اليمنى هى المخولة بالرمي والقذف بالحجر ، ثم جاء التكرار في الضمير (أنتُما) الذي يحيل على طفلي الحجارة مع لام التأكيد ، ليتيح للشاعر فرصة تعديد المعاني والصفات التي يريد أن يثبتها لهؤلاء الأطفال ،فهما في البيت الأول إكليلٌ للجباه ، أي هما رمز

[٦٦]-انظر: شعب أبابيل/ص ٦٧

DOI : : 10.12816/0053048

الشرف والعزة والكرامة، فالجباهُ أعلى ما في الإنسان وأكرمه، ودائمًا يرمز بها إلى المعاني السابقة ، وفي البيت الثاني هما فصلُ الخطاب ومتنه ، وفي البيت الثالث هما نعت النضال وفعله ، وكُلُها معانٍ تبرز تجربة هؤلاء الأطفال وبطولتهم في النضال والصمود.

ونلمح هنا قيمة اعتماد الشاعر على الجملة الاسمية فهى تفيد ثبات الصفة في الموصوف ،كما أنَّ ضمير المخاطب (أنتما) يشعر بحضور المخاطب أمام المتكلم ، وهذا من شأنه منح النص لونًا من الحركة والحيوية، على نحو ما سبق الإشارة.

فتكرار ضمير الخطاب (أنتُما) أسهم في إبراز جوانب متعددة من بطولة هؤلاء الأطفال ، مما يدل على أنَّ التكرار لايدل على عجز الشاعر أو الأديب عن الإتيان ببنيات لغوية جديدة ،أو فقر لديه في اللغة والمفردات ، وإنَّما يدل على قدرة ومهارة في شحن البنيات المتماثلة بمعانٍ مختلفة ، بحيث يمكن الإفادة من مفردات اللغة المتاحة والمحدودة في التعبير عن أكبر قدر من المعاني ، ومن ثم لايصبح التكرار أو التواتر لمجرد التكرار ، وإنَّما ليعطى معانى جديدة تثري الخطاب.، فالتكرار إن لم ينتج في النص دلالات جديدة، يصبح مجرد حشو لغوي لاطائل منه ، فـ"القوة التعبيرية تضعف وتتلاشى في معظم الأحيان بالتكرار"[٦٧]

كما نلمح قيمة استخدام أسلوب المقابلة مع الآخرين في الأبيات السابقة في إبراز المعنى وتأكيده ، فسواهما سقط المتاع وهزيل ، وسواهما–أيضًا– مجرد وهم فيما يدعيه.

ثم يأتي البيت الرابع بهذه الصيغة الدعائية في الفعل (تبارك) الذي يوحي–دائمًا– بسمو الهدف والمقصد ويشعر بالبركة ، وفيه تناص مع قوله تعالى

---

[٦٧]-علم الأسلوب:مبادئه وإجراءاته–د/صلاح فضل–ط١–دار الشروق –القاهرة–١٤١٩–هـ–١٩٩٨م ص ٣٢١

في سورة الُملْك[٦٨] :"تبارك الذي بيده الُملكُ وهو على كُلِّ شئ قدير..." ، ثم يجعل الشاعر النصر مقروناً بهما ، ومأمولًا فيهما،ونلمح هنا قيمة التقديم للجار والمجرور في قوله:لنا مأمول...في التعلق بتجربة هؤلاء الأطفال في النضال والاعتماد عليهم في تحقيق النصر ، وقد تناص الشاعر هنا مع قول كعب بن زهير:[٦٩]

أُنبئتُ أنَّ رسولَ الله أوعدني والعفُو عند رسول الله مأمولُ

وقد أفاد التناص هنا الاستبشار والتفاؤل بتحقيق النصر ، فكلمة (مأمول) تشع بدلالات الإيجاب دائمًا ، ثم يحيل الشاعر إلي هؤلاء الأطفال فضل توحيد شعب فلسطين بعد أن كانوا فصائل شتى، وفي هذه الإحالة تشريف وتكريم وإعلاء لسمعة هؤلاء الأطفال ، لاسيما إذا أدركنا خطورة ما ترتب من آثار سلبية على القضية الفلسطينية بسبب هذه الانقسامات السياسية ، فقيمة الشئ تُدرك– دائمًا– بمعرفة الضد.

وفي موضع آخر من القصيدة يتناول الشاعر هذه التجربة البطولية أو النضالية عند أطفال الحجارة بالمديح والتمجيد ،فيقول[٧٠]:

إذا البطولةُ في المشاهد بُدِّلت يُلقى على عقم الحوار سُدولُ

لينوبَ عن أبطالها وزمانها حجرٌ بكف طفلها مجهولُ

في مهد أُمٍّ ما يزالُ جنينها أو طفلة ولادة وحُمولُ

ملف توارث نجلُه إعجازَه جيلٌ عحيبٌ في المُحال رجيلُ

أسطورةٌ ما خُطَّ قبلُ مِدادُها بحروفُها بدمِ الفداء تَسيلُ

---

[٦٨]–سورة الملك –آية ١

[٦٩]–انظر/ديوان كعب / مرجع سابق ص ٦٥

[٧٠]–انظر:شعب أبابيل ص ٦٩

DOI : : 10.12816/0053048

أو قصةٌ بقصيدة في بحرها يترادف المفعولُ والتفعيلُ

تتعدد الأوزانُ في أبياتها ويشطُّ عن أعجازها التبديلُ

كبيرُ أطفال الحجارة بـ ُرعْم ومِراسُه ُ في ما يريد َمهولُ

صدقوا العهود لربهم ولأمة سلفٌ قضى ويليه ثمَّ رعيلُ

يتناوبون الفعل في أرتالهم لصداه صمتٌ ُمرعِدٌ َوصَليلُ

نلحظ أنَّ الأبيات تزدحم بعبارات المديح والثناء لهؤلاء الأطفال ، وكشفت عن زوايا أخرى في هذه البطولة ، ويكفينا استخدام لفظ (أسطورة) للتعبير عن معجزة هؤلاء الأطفال، فالأسطورة كل ما فاق حدود العقل و التصور ، كما نلحظ أهمية التناص في قوله :صدقوا العهود لربهم٠٠٠حيث تناص الشاعر مع قوله تعالى في سورة الأحزابّ من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله َ عليه.... "[٧١] .

وقد أفاد التناص هنا التأكيد على إخلاص النية في الجهاد لله تعالى عند هؤلاء الأطفال، ثم نلمح التركيز على المرحلة العمرية لهؤلاء الأطفال ، فكبيرهم برعم ،مما يدل على التناهي في الصغر لتبرز المفارقة والمعجزة في هذه التجربة البطولية،ثم دلالة الفعل المضارع (يتناوبون) على الاستمرارية والإصرار على مواصلة الجهاد.

كما نلمح قيمة الجمال الفني في البيت الثاني في قوله: لينوب عن أبطالها و زمناها...حجرٌ ، فقد جعل من حجر الأطفال إنسانًا يقوم بمهمة الدفاع عن الأ رض، نيابة عن هؤلاء العرب خُكَّامًا ومحكومين ، وفي ذلك رسالة سخرية وتهكم من جانب الشاعر من ناحية، وإبرازلمعجزة تجربة هؤلاء الأطفال البطولية

[٧١] –الأحزاب – آية:٢٣

من ناحية أخرى، وهو ما دأب الشاعر على تأكيده في موضع آخر من القصيدة في قوله:[٧٢]

ليذُبَّ عن قيم الحمى وحياضِه حجٌر بكفك للفدا مسلولُ

فقد أسند هنا مهمة الذب والدفاع عن الوطن فلسطين إلى حجر هؤلاء الأطفال ، وكأنَّ الحجر إنسان له إرادة وعزيمة ، وهو إسناد على سبيل المجاز ، وفيه انزياح عن اللغة الوضعية إلى اللغة الشاعرية أو الأدبية ، فلا"يكون الأدبُ أدَبا إلَّا بخروج الكلمات عن دلالاتها اللغوية ،وشحنها بفيض من الصور والأخيلة "[٧٣]، ولذلك كانت"الكلمة الخلاقة لاتُرتجى إلَّا في الشعر ،فاللغة فيه تبلغ أقصى مراتب قدرتها على التعبير"[٧٤]، " فالشعر ، يعد معملًا لتطور دلالة الألفاظ ، حيث إنَّه انزياح عن قانون اللغة ، وهو إعادة تشكيل دائم لها ،فغايته دائمًا تطويرها"[٧٥]

وقد تناص الشاعر في البيت السابق مع قول كعب بن زهير في معرض حديثه عن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام:[٧٦]

نَّ الرسولَ لنورٌ يُستضاء به مُهنَّدٌ من سيوف الله مسلولُ

وقد أفاد التناص هنا التأكيد على جاهزية هؤلاء الأطفال للدفاع عن وطنهم والذود عنه، فدائمًا حجرهم مسلول للعدو.

وتبرز هنا أهمية التناص مع التراث الأدبي عامة والشعري خاصة في التعبير عن التجربة الشعرية المعاصرة فحينما " عاد الشاعر إلى هذه التيمات التراثية لم يعد إليها بهدف الاستعاضة عن الحاضر بالماضي ، وإنَّما بهدف تحويل الجوانب

---

[٧٢]-انظر:شعب أبابيل/ ٦٦

[٧٣]-دلالة الألفاظ- د/إبراهيم أنيس ط٥-مكتبة الأنجلو المصرية-القاهرة- ١٩٨٤م ص١٧٤

[٧٤]-التركيب اللغوي للأدب – د/لطفي عبد البديع – د-ت –دار المريخ للنشر١٤٠٩/ ١٩٨٩م ص١٤٢

[٧٥]-التطور الدلالي للألفاظ في الشعر العربي السياسي المعاصر(١٩٥٠- ١٩٩٠) دراسة دلالية- د/أشرف محمد السعدي –الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٤م-ص ٢٨

[٧٦]-انظر:ديوان كعب بن زهير/ مرجع سابق ص٦٧

التراثية المتألقة بطبيعتها إلى أطر فنية رمزية ، تتيح للشاعر أن يتعمق الحاضر ، وأن يـُجـَّر رؤاه الشعرية للواقع والحياة والوجود ، فأخذ من هذا التراث الشعري ، ما يتواءم مع الحالة الشعورية ، وما يعتمل في نفسه ، وواقعه من قضايا ، وهموم يناقشها ، ويعالجها ، ولم يكن أخذه هذا سُكونيًا جامدًا في معظمه بل أخذ يحاوره ، وينفي بعض مضامينه ، ويخلخل بعضها"[٧٧]

ثم يكشف الشاعر عن بعد آخر من أبعاد هذه البطولة في الموضع ذاته من القصيدة ، فيقول[٧٨]:

كتابُ هم حجرٌ يخط صراطهم ... يمشي عليه الدهر وهوكليلُ

تركوا السياسة في عقيم متاهها ... فَسَرابُها ما نُيَّ منه غليلُ

فُراتُها مهما يساغُ لشارب ... في نهله ورضابه أُخبولُ

وضريعُها أودَى يغذّ خَماصةً ... بحصيدُها عند الحصاد مُحولُ

والحقُ إذ لم تستنجزْه بقوةٍ ... حُبٌّ جَهَ ٌام ما بهنَّ هُطولُ

قد أقسموا مهما يطول بلاؤهم ... مهرُ الكريمة للحياض فُحولُ

قسمًا له لاينكثون عهودَهم ... أبدًا ولا عن مصدريه حُؤولُ

طفل تغمَّد بالنضال رَضَاعُه ... ورديفُه شعبٌ العطاء مُعيلُ

ماضٍ إلى هدف يشق مساره ... ويشوبه عجن الكلام وقيلُ

لم تثنه عمَّا يروم جموعهم ... أو شاقه دون المُرامِ فُضولُ

يحاول الشاعر في الأبيات السابقة أن يثبت لهؤلاء الأطفال أخذهم بمبدأ القوة في مقاومة العدو ، وعدم ركونهم إلى السياسة وآلاعيبها التي شبهها

---

[٧٧]- االتناص التراثي في الشعر العربي المعاصر– د/ عصام حفظا لله حسين واصل –ط١ – دار غيداء– عمان الأردن ١٤٣١–/٢٠١١م ص ٩٥

[٧٨]-انظر:شعب أبابيل – ص ٦٩–٧١

بالسراب الخادع لشاربه، وبالحصاد ممحوق البركة وقليل النفع في إشارة منه إلى المساومات الخادعة التي يمارسها زعماء العرب مع أعداء الوطن خلف كواليس السياسة، ولننظر إلى ذكره المستمر للفظ (حجر) ،وإسناده له فعل (يخط) ، لما يحمل هذا اللفظ من رمزية ودلالة في نفس الشاعر وهى دلالة القوة والصمود.

ولننظر –أيضًا– إلى جمال الصورة في قوله:يمشي عليه الدهر وهو كليل...والتي أبرزت خجل الزمان من تجربة هؤلاء الأطفال، وكأنَّه إنسان له شعور وإحساس.

ثم نلمح أهمية القسم في قوله:قسمًا له لاينكثون عهودهم...في التأكيد على وفاء هؤلاء الأطفال لدينهم ووطنهم ، واحترامهم للعهد والميثاق بينهم وبين ربهم تعالى ، وقد جاء الكلام هنا بالمصدر (قسمًا) دون ذكر الفعل (أقسموا) للدخول مباشرة إلى المعنى المراد ، وهو القسم والعهد من هؤلاء الأطفال.

ثم يأتي اسم الفاعل (ماض) ليدل على الإصرار والاستمرارية في مواصلة مسيرة الجهاد من جانب هؤلاء الأطفال ، كما أنَّ الفعل المضارع المنفي بـ (لم) في قوله :(لم تثنه٠٠٠) ، يؤكد هذا المعنى ويعضده.

ثم نلمح جمال الصورة في تشبيه الحق بدون قوة تحميه أو تنجزه ، بالسحب الجهام غير الممطرة ، والصورة –على تقليديتها – أبرزت مبدأً مهمًا هو أنَّ الحقوق المسلوبة لاتنتزع إلّا بالقوة والجهاد، وأنَّ قضية فلسطين مرهون حلُها بالجهاد وليس بالشعارات والكلام.

وهنا تبرز أهمية التعبير بالصورة فـ"الشاعر عندما يعتمد على الصورة في شعره فإنَّه يسعى من وراء ذلك إلى التأثير في وجدان المتلقي لشعره،وحمله على معايشة التجربة التي يعبر عنها ،والتفاعل معها سلبًا أو إيجابًا ،سواء كانت التجربة المعبر عنها نابعة من ذات الشاعر ،أم عامة أحس بها حوله فعمد إلى جمع عناصرها ،ولم شتاتها ،وقام بمعايشتها ،ثم عبَّر عنها ونقلها إلينا لدفعنا إلى

مشاركته في التأثر بتجربته الشعورية.[٧٩]، لذلك كانت الصورة هى"الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة... فما التجربة الشعرية كُلها إلَّا صورة كبيرة ذات أجزاء هي بدورها صورة جزئية تقوم من الصورة الكلية مقام الحوادث الجزئية من الحدث الأساسي في المسرحية والقصة"[٨٠]

فالأبياتُ كلها تثبت لهؤلاء الأطفال صفة الأخذ بمبدأ القوة ، وعدم الركون إلى أي شئ آخر دونه ، وهو مايتوافق وخيار الشاعر في حل قضية وطنه في القصيدة من مطلعها حتى نهايتها.

ومن الملامح المهمة لخطاب البطولة في القصيدة ، استدعاء الشاعر لرموز النضال والصمود في تاريخ الإنسانية وخاصة الأنبياء منهم ، ثم قياس تجربة هؤلاء الأطفال عليهم، نظرا لأهمية التعبير عن التجربة الشعرية بالرمز[٨١] ، لقدرة الرمز على الإيحاء واستدعاء الذهن عند القارئ والمتلقي ، فهو يفتح آفاقًا كثيرة من التأويل أمام متلقي النص ، ويجعل ذهنه يسبح في الخيال مما يثري قراءة هذا النص ، ويعدد اتجاهاتها ، لاسيما اذا استطاع الشاعر توظيفه ، واستثمار طاقته التعبيرية ، وإخضاعه لتجربته الشعورية ، وإدراك العلاقات بين هذا الرمز وتلك التجربة، فالرمز هو نتاج توظيف الشاعر للكلمة في سياق بعينه في النص ، وليس قالبا جاهزا يسقطه الشاعر على النص.

ومن هذه الرموز التي ارتبطت بالمقاومة والصمود في تاريخ الإنسانية ، وتم استدعاؤها من جانب الشاعر في القصيدة للتعبير عن خطاب البطولة في القصيدة، الرمز الدال على شخصية سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام ، حيث شبه الشاعر طفل الحجارة به فقال:[٨٢]

---

[٧٩] - -صورة اليتيم في الشعر السعودي – د/مفرح السيد –مجلة جامعة طيبة السنة الأولي –العدد الأول –١٤٣٢هـ ص٢٤٢

[٨٠] --النقد الأدبي الحديث– د/محمد غنيمي هلال– دار نهضة مصر –د ت ١٩٩٧م –ص ٤٤٢

[٨١] -انظر في العلاقة بين الرمز والشعر:-الشعر العربي المعاصر(قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية) مرجع سابق –ص ١٩٨وما بعدها

[٨٢] -انظر:شعب أبابيل– ص ٧٨

يا منْ قهرتَ الموتَ مثل يسوعهِ	يسمو بذكر كِلاكُما التقديسُ
إنْ يصلبوك! فأنت فوق رؤوسهم	وإذا علوتَ على الجباه تدوسُ
شابهتَ فيما يفعلون مسيحنا	فلنا بفعلك فرقدٌ وطقوسُ
فلأنتَ شيخٌ في الصلاة إمامنا	ومع الكنيسة راهبُ قديسُ

فـ (اليسوع) و(المسيح) كلمتان تنتميان إلى العقيدة المسيحية والإسلامية معا، وهما لقبان على علم واحد وهو سيدنا (عيسى بن مريم) عليه السلام ، وقد ارتبط به –دائما– فكرة الخلاص ،أي تخليص العالم من الذنوب ، ولكنَّ الشاعر رمز به هنا إلى فكرة المعاناة والصبر على الابتلاء وأذى الآخرين والانتصار على الآخر ، ويدل على ذلك قوله في البيت الثاني:(إن يصلبوك)،وقوله :(شابهت فيما يفعلون مسيحنا) أي فيما يفعلون فيك...، فعيسى عليه السلام "هو رمز المقاومة والفداء والتضحية"[٨٣]

والجدير بالذكر أنَّ الرمز هنا تشكل من خلال اللقب وهو المرتبة الثانية في التعريف بعد العلم ومعناه أي العلم " كلٌّ كلمة تدل بنفسها مباشرة على شئ واحد، معين بشكله الخاص ، وأوصافه المحسوسة التي ينفرد بها ، وتميزه من باقي أفراد نوعه"[٨٤]

فالعلم في واقع الأمر رمز[٨٥]، ومتى "خطر العلم في ذهن أحدنا ، خطرت معه مجموعة من الصفات المعيقة التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا في ذهن المتكلم والسامع ، بل ترتبط في أذهان كل من عرفوا صاحب هذا العلم أو اتصلوا به في تجارب سابقة" [٨٦]

---

[٨٣]–الرموز التراثية في شعر عز الدين المناصرة–د/إبراهيم منصور الياسين/مجلة جامعة دمشق –المجلد ٢٦–العدد الثالث –الرابع ٢٠١٠ ص ٢٦١

[٨٤]– النحو الوافي –د/عباس حسن –ط٣–دار المعارف بدون ت –ج١ ص٢٨٦

[٨٥]–د انظر :دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث–د/أحمد درويش–دار غريب –القاهرة –بدون ت– ص١٦٣

[٨٦]–من أسرار اللغة–د/إبراهيم أنيس–ط٦ مكتبة الأنجلو المصرية–١٩٧٨ص٢٨٣

فتشكيل الرمز عن طريق استخدام اللقب أسهم في إبراز المعنى المراد عند الشاعر من هذا الرمز ، وهو الانتصار على الصعاب ، والصبر على الابتلاء،ومقاومة الظلم، فاستخدام اللقب له أبعاد تداولية عند الشاعر ، وهى محاولة التأثير في السامع والمتلقي من خلاله للدلالات المتعلقة في أذهان المخاطبين بهذا اللقب.

ومن الرموز الدينية في الأبيات السابقة –أيضًا–كلمتا (شيخ– إمام) ، وتنتميان إلى العقيدة الإسلامية وكلمتا (راهب– قديس) و تنتميان إلى العقيدة المسيحية ، وكلها كلمات تحمل رمزية القيادة والزعامة ، كما تحمل رمزية التقديس والتبجيل في العقيدتين ، و تقدم صورة مشرقة لأطفال الحجارة.

وفي موضع آخرمن القصيدة لجأ الشاعر إلى الرمز ذاته وهو كلمة (المسيح) وما يرتبط بها من كلمات أخرى للتعبير عن الفكرة ذاتها ، وهى فكرة البطولة ، والصبر على الابتلاء حيث قال مخاطبا ظفل الحجارة:[٨٧]

لأنتَ في قول المسيح نبوءةً سمعان أنت سميُّه وبديلُ

كصخرة تُبنى عليك كنيسة وحلال فعلك قاذفا محلولُ

لم يبق إلَّاك الُمخلِّصُ بيننا والصبرُ عِيلَ فمنْ سِواك يعيلُ

فالأبيات الماضية تعج برموز دينية مثل كلمة (المسيح) وكلمة (سمعان) وهوعلم على (بطرس) أحد تلاميذ المسيح عليه السلام [٨٨] ، وكلمة (صخرة) ، وكلمة (كنيسة) ،وكلمة (الُمخلص)،وكلها كلمات تنتمي إلى العقيدة المسيحية ، وترمز إلى فكرة المعاناة والابتلاء والصبر عليه وهو ما يناسب روح القصيدة ، وتجربة أطفال الحجارة،كما سبق الإشارة إلى ذلك.

---

[٨٧]–انظر:شعب أبابيل/ ص ٧٤

[٨٨]–انظر قول المسيح عليه السلام لتلميذه(سمعان)كما نقله الشاعر من الانجيل: شعب أبابيل/ص ٨٠

ومن اللافت للنظرأنَّ الشاعر قد أكثر في القصيدة من الاعتماد على الرمز الديني المسيحي ، ربما لاعتبارات الشراكة في المكان حيث القدس الشريف ، وكنيسة القيامة ،أو لتوافق تجربة أطفال الحجارة مع تجربة السيد المسيح عليه السلام ، من حيث المعاناة والصبر في سبيل تحقيق المراد.

والجدير بالذكر أنَّ "شخصيات الأنبياء عليهم السلام هى أكثر شخصيات التراث الديني شيوعًا في شعرنا المعاصر ، ولاغرو فقد أحسَّ الشعراء من قديم بأنَّ ثمة روابط وثيقة تربط بين تجربتهم وتجربة الأنبياء ، فكلٌّ من النبي والشاعر الأصيل يحمل رسالة إلى الأمة "[٨٩].

وهكذا يتضح إلى أي مدى شكلت تجربة الصمود والنضال عند أطفال الحجارة بفلسطين موضوعًا لخطاب البطولة في القصيدة ، حيث استدعت الطاقة البيانية عند الشاعر للتعبير عنها ، والاحتفاء بها ، فقد رأى الشاعر فيها وسيلة ناجعة لتفريغ شحنات نفسه المتأزمة بأزمة وطنه، كما سبق الإشارة ، وفي ذلك دلالة كبيرة على أثر هذه التجربة في شعر الشاعر وعلى أثر النماذج البطولية في إحداث التكييف النفسي عند الإنسان.

[٨٩] استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر– د/ علي عشري زايد/ دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٩٧م– م ص ٧٧

DOI : : 10.12816/0053048

المبحث الرابع :

التجربة النِضالية وخطاب السخرية والتهكم في القصيدة :

أسهمت تجربة الصمود والنضال عند أطفال الحجارة في خلق حالة من (السخرية والتهكم) في القصيدة، حيث اتخذ الشاعر من هذه التجربة منطلقا كي يُسفِّه عدوه وعدو وطنه الحقيقي ، العدو الصهيوني ، كذلكيُسفِّه كُلَّ من تعاون معه وتآمر من أبناء جلدته وهم العرب لاسيما الحكام منهم والزعماء، في محاولة منه لفضح مخططاتهم ، والتشهير بهم من ناحية أولى ، ولتفريغ الشحنات المكبوته عنده بسبب أزمة وطنه التي هى نتاج تعاون بين العدو الصهيوني والعدو العربي إن جاز التعبير من ناحية أخرى.

أما عن السخرية والتهكم من العدو الأول والحقيقي للوطن وهو (العدو الصهيوني) ، فقد ألهمت تجربة أطفال الحجارة الشاعر صورة هذا العدو وأسهمت في تشكيلها ، فهو مجرد خرافة وأسطورة لاحقيقة لها كأسطورة المستحيلات الثلاث عند العرب (الغول والعنقاء والخل الوفي) ،كما جاء في قول الشاعر مخاطِبا طفل الحجارة[٩٠]:

اقذفْ حصاك فإنّها سجيلُ	**أنتَ الخلاص وما سِواك مثيلُ**
واجعل فعالك في السجال ملاحما	**يفنى الزمان ولا تراه يزولُ**
واتركْ إلى الأجيال سيرة أمة	**فيها المُحال مع الهوان يَطولُ**
تُحطّ فيه ثلاثةُ بخرافـــــــة	**نقاءُ وهمٍ ماحقٍ والغـــــولُ**
أما الوفاء! فأنت خِلُّ صفاته	**وحصاك إثبات عليك دليـــــل**
مزَّقتّ ما ساد التراث خُرافةً	**أسطـــــورةٌ قد ضلَّ عنه رَحِيلُ**

[٩٠]–انظر:شعب أبابيل :ص ٦٥

فقد استخدم الشاعر هنا الرمز في كلمتي (عنقاء والغول)[٩١] في البيت الرابع، وكلاهما من التراث الأسطوري والحكايات الشعبية والخرافية عند العرب ، ليبرز وضاعة هذا العدو وهشاشته ، فهو مجرد خرافة وأسطورة ، كما كانت العنقاء والغول مجرد وهم وأسطورة عند العرب، وفي ذلك تحقير من شأنَّ العدو وتسفيه له ولإمكاناته ، ولمن يعتقد فيه القوة.

وهنا تبرز من جديد أهمية التشكيل بالرمز في التعبير عن التجربة الشعرية ، فالرمز "بشتى صوره المجازية والبلاغية والإيحائية تعميق للمعنى الشعري ، ومصدر للإدهاش والتأثير وتجسيد لجماليات التشكيل الشعري ، وإذا ُوظف الرمز بشكل جمالي منسجم واتساق فكري دقيق مقنع ، فإنَّه يسهم في الارتقاء بشعرية القصيدة وعمق دلالاتها وشدة تأثيرها في المتلقي"[٩٢]، فالرمز "أحد أدوات بناء النص الشعري ، ووسيلة المبدع للاتصال بالمتلقي"[٩٣].

فاستخدام مثل هذا الرمز الأسطوري (المستحيلات الثلاث) في الأبيات السابقة رسم صورة مهينة لهذا العدو في مخيلة القارئ والمتلقي العربي ، لاسيما إذا عرف هذا القارئ وهذا المتلقي أنّ الأسطورة مجرد"قصة خرافية يسودها الخيال ، وتبرز فيها قوى الطبيعة في صور كائنات حية ذات شخصية ممتازة وينبني عليها الأدب الشعبي."[٩٤]،أوهى "بمثابة تفسير يقوم به الإنسان لأسرار

---

[٩١] -العنقاء اسم لطائر أسطوري ، والغول اسم حيوان خرافي :.

[٩٢] - الرمز في الشعر العربي الحديث-د/أحمد لزغبي-الموقع على الانترنت:

www.mahmouddarwish.com/ui/english/ShowContentA.aspx?ContentId=58

[٩٣] -وظائف العنوان في شعر نادر هدي-عماد الضمور-مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)-المجلد ٢٨/العدد ٥/٢٠١٤م ص ١٢٥٤الموقع على النت /*scholar.najah.edu/ar/publication/journal-article*.

[٩٤] -معجم المصطلحات في اللغة والأدب-مرجع سابق ص٣٢

لايفهمها"[٩٥]،أو هى"ثمرة جهود الإنسان في فهم طبيعة الكون وفي تسمية ظواهره ، وتحديد أماكنه "[٩٦]، فكُلٌّها تعريفات تشع بمعاني الوهم وعدم الحقيقة.

وتبرز هنا–أيضًا– أهمية استدعاء التراث الشعبي في التعبير عن الموقف الشعري المعاصر لقربه من وجدان القارئ والمتلقي العربي.

وفي موضع آخر من القصيدة ، يتهم الشاعر العدو بسرقة التراث وتزوير التاريخ ،فيقول:[٩٧]

سرقوا التراث وزوروا تاريخنا ووجودنا في نهجهم مشمولُ

صُهيونُ مهما يدَّعي من إرثنا وسطا عليه فزعمه تدجيـــــلُ

والأرضُ تعلم من همو مُلَّاكُها هل دام في أرض الجدود دخيلُ!؟

والسجنُ أنَّى ترتقى أسلاكُه جَّانُهُ عند السجينِ ذليـــــــلُ

نلحظ هنا التهكم والسخرية من العدو بطريق استخدام الكلمات ذات الدلالات الفاضحة في الثقافة العربية مثل :سرقوا ، وزوروا ، ثم نلمح شعرية الانزياح في قوله في البيت الثالث:والأرض تعلم من همو ملاكها٠٠٠حيث أسند فعل العلم للأرض ، وهو إسناد على سبيل المجاز وليس الحقيقة قصد به الشاعر استنطاق الأرض بالحقيقة ، كأنَّها إنسان يُ ستشهد به على الحقيقة ، ليكون ذلك أدعى لإثبات الحق لأهله.

وهنا تبرز أهمية الانزياح في تحقيق الشعرية في النص ، فالانزياح ابتعاد باللغة الأدبية عن المستوى العادي ، أو المعياري ، أو النموذجي ، أو النمطي ،

---

[٩٥]–نفسه –نفس الصفحة

[٩٦]–الأساطير دراسة حضارية مقارنة– د/أحمد كمال زكي– ط٢–الهيئة العامة لقصور الثقافة –٢٠٠٠م –ص ٥٣

[٩٧]–انظر:شعب أبابيل– ص ٦٧

أو الحيادي ، أو الدرجة الصفر في الكتابة [٩٨]، إلى " لغة متوجهة ومثيرة، تستطيع أن تمارس سلطة على القارئ من خلال عنصر المفاجأة والغرابة "[٩٩].

فالتأثير الأسلوبي "محصلة حقيقية ناتجة عن مفاجأة المتلقي باستعمال وسائل أسلوبية لا يتوقعها وتخرج على ما عهده في سياق معين"[١٠٠] ، كما أنَّ استخدام الشاعرلكلمة (الأرض) في البيت له مسوغه ، فقد ارتبط بهذه الكلمة في الثقافة العربية كُلَّ معاني الشرف والكرامة ، وأصبح الحفاظ عليها يرادف الحفاظ على العرض والشرف، والتفريط فيها يرادف التفريط في العرض والشرف.

أما بالنسبة للسخرية والتهكم من حُكَّام العرب وزعمائهم ، فقد أخذ خطاب التسفيه والتهكم أبعادًا متعددة بتعدد مواقفهم المخزية من قضية الوطن (فلسطين) ، وبقدر حجم ضيق الشاعر منهم.

فالبعد الأول هو بعد الخيانة ، والتواطؤ ، وقد عبَّر عنه الشاعر من خلال استخدام الرمز التاريخي ، فقال:[١٠١]

فأبو رغال قد تناسخ نسلُه وبخسةٍ بين الصفوف يجــولُ

خلع القناع مفاجرًا في إثمه لم يثنه من ذا عليه يبــولُ

ما ضرَّ قحباءً تُعاب بفعلها ومتى تمسَّك بالعفاف رذيــلُ؟!

عجبًا لقوم بـ ُدِّلتْ أخلاقُهم فالحرُّ عبدٌ والشريفُ سفيــلُ

فـ (أبو رغال)هذا شخصية من التاريخ العربي القديم ارتبطت بها الخيانة ، لأنَّه دلَّ أبرهة الأشرم على الكعبة ، فصار رمزًا على خيانة كل خائن ، وقد استثمر الشاعر هذا الرمز التاريخي في التعبير عن موقفه من بعض حُكَّام العرب

---

[٩٨] -انظر في ذلك-الأسلوب والأسلوبية-د/عبد السلام المسدي-ط٣-الدار العربية للكتاب- تونس -(د-ت)-ص ٩٩

١٠٢- الأسلوبية:مفاهيمها وتجلياتها- - د/موسي ربابعه - ط١دارالكندي للنشر والتوزيع-الأردن-٢٠٠٣م ص٥٨

١٠٣-المرجع نفسه/ ص١٢٤

[١٠١] -انظر:شعب ابابيل ص٧١

الذين تواطؤا ضد قضية وطنه ، وأعانوا العدو على ذلك ، ولم يكتفوا بهذا التواطؤ سرًا ، بل راحوا يجاهرون به دون خشيةٍ أو حياءٍ كما في قوله:خلع القناع فلاجرًا في إثمه...، فخلع ُ القناع يدل على قمة التبجح وعدم الحياء ، كما دلتْ الصيغة الصرفية لكلمة (مفاجرًا) وهى صيغة (اسم الفاعل) على ثبات الصفة في الموصوف ولزومها إيَّاه.

والبعد الثاني هو بعد السقوط الأخلاقي ، كما في قول الشاعر:[١٠٢]

أوما ترى الأعرابَ كيف تراقصوا ثـابـُهم دفق الدَّماء ذُطُولُ

فالشاعر هنا يسخر من حالة السقوط الأخلاقي التي وقع فيها بعض حكام العرب من قيامهم بالرقص مع أعدائهم في إشارة منه إلى رقصة ملك السعودية مع الرئيس الأمريكي الحالي (ترامب) بالعاصمة السعودية الرياض في مشهد ترفضه النخوة العربية، ولذلك استخدم الشاعر الاستفهام المثير للاستغراب والدهشة في قوله:(أوما) ، كما استخدم الفعل (ترى) الذي يفيد الرؤية البصرية، ويشعر بحضور المخاطب مما يضفي حيوية وحركة على الكلام في البيت.

كما استخدم الشاعر كلمة (الأعراب) التي تحمل رمزية سلبية في الثقافة العربية لارتباطها بالكفر والنفاق كما قال الله تعالى في سورة التوبة "الأعرابُ أشدُّ كُفرًا ونِفاقًا وأجدرُ ألا يعلموا حُدودَ ما أنزل الله ُ "[١٠٣]، وكقوله تعالى في سورة الحجرات "قالتْ الأعرابُ آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمَّا يدخلِ الإيمانُ في قلوبكم..."[١٠٤]

ويتكرر هذا الإنكار من جانب الشاعر في قوله:[١٠٥]

وتراهمو شبه النساء خنوثة ثيباتٍ ما لُهنَّ بـُعـُـــولُ

---

[١٠٢]–انظر:شعب أبابيل /ص ٧٦

[١٠٣]–سورة ::التوبة آية: ٩٧

[١٠٤]–الحجرات :آية :١٤

[١٠٥]–انظر:شعب أبابيل ص ٧٤

وأنَّ فيهم ذرةً من نخـــوة حجبتهمو قبل اللحود وُهُولُ

نلحظ هنا قمة السخرية والتهكم من جانب الشاعر، وتجلى ذلك في هذا التشبيه المشين والمهين ، وهو تشبيه هؤلاء الذين يتراقصون من زعماء العرب بالنساء في ميوعتهنَّ وخنوثتهنَّ ،أو كالمرأة الأرمل التي ليس لها زوج يعفها ويضبط حركتها في الحياة.

والصورة –على بساطتها ووضوحها وعدم حاجتها إلى تأويل– عبرت عن سخرية الشاعر ورفضه لمثل هذه الأفعال التي تتنافى مع الذوق العربي السليم.

وفي لقطة أخرى ساخرة يقول الشاعر متهكماً:[١٠٦]

يا خيبةَ الإسلامِ من حُكـَّامه فحرامُه في شرعهم تحليلُ

وجُموعُهم سِربُ القطا قُطعانُه وصحيحهم كعليلهم مشلولُ

ضنوا على الأطفال حتى عيشهم فمشرد وميتم مشكـــــولُ

غَبِقٌ على الأغراب نَفقُ عطائِهم بزكـاته للغارمين بخيـــــل

فالشاعر بدأ الأبيات بهذا النداء الساخر في قوله:(يا خيبةَ الإسلام...) ، والذي يوحي بمدى تحسره وأسفه من هؤلاء الحُكَّام ، فقد جاء النداء على غير موضوعه ، وهو "توجيه الدعوة إلي المخاطب ، وتنبيهه للإصغاء ،وسماع ما يريده المتكلم"[١٠٧] ، ليحمل دلالة تناسب الحالة الشعورية والنفسية عند الشاعر وهى حالة الحزن والأسى من الوضعية المزرية التي أصبح عليها حُكَّام المسلمين من تحليل ما حرَّم الله ُ في شرعه ودينه.

[١٠٦]–انظر:نفسه/ص ٧٥

[١٠٧]–النحو الوافي: مرجع سابق/ج١/٤

DOI : : 10.12816/0053048

ثم شبه الشاعر جموع زعماء العرب بسرب اليمام الصحراوي الذي يسير ببطء شديد ، وفي الشطر الثاني شبه الصحيح فيهم كالعليل منهم مشلول ، والصورة أفادت السخرية والاستهزاء.

ثم يأتي البيتان الأخيران يكشفان عن بعد آخر من أبعاد الأزمة الأخلاقية عند حُكَّام العرب ، وهو بعد إنفاق المال على الأغراب والأجانب بسخاء ، وحرمان المسلمين وأبنائهم منه ، في إشارة من الشاعر إلى صفقات السلاح بين السعودية و(ترامب) الرئيس الأمريكي الحالي.

ونلمح هنا قيمة اختيار لفظة (غدق، دفق) في التعبير عن الإسراف في المال، وهى ألفاظ مستوحاة من القرآن الكريم كما في قوله الله تعالى في سورة الجن" وأ ّلو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماًء غَدَقا"[١٠٨] ، وقوله تعالى في سورة الطارق في معرض الحديث عن خلق الإنسان:" خُلِ ق من ماءٍ دافق..."[١٠٩]، كما أنَّ البنية الصرفية للكلمتين تعكسان الدلالة، فقد جاءت الكلمتان على وزن :فَعِل وفْعَل .

ثم هناك بعدٌ ثالث وهو بعد الخصام والشقاق وعدم توحيد الكلمة بينهم ، والتفريط في الأرض ، فيقول الشاعر:[١١٠]

وتعاركوا حتى تشتت شملُهم	**فإذا الُمقاتِلُ من أخيه قتيـــلُ**
في كل دين لو تعد مذاهب	**رفضُ الشعوب بشرعها مجبول**
يتخاصمون على السماء وأرضُهم	**من فرط ما طال الخِصام طُلولُ**
يا ذُلَّ قومٍ حين تذهب ريحُهم	**يتنابذون فعصفهم مأكـــــولُ**
وعدوهم سلب الديارَ بجهلهم	**لايُعفَ من حُكم القضاء جَهولُ**

[١٠٨]–سورة:الجن آية ١٦

[١٠٩]–الطارق –آية:٦

[١١٠]–انظر:شعب أبابيل– ص ٦٨

نلحظ دلالة الفعل الماضي (تعاركوا) في البيت الأول في التعبير عن الاختلاف والشقاق حيث يفيد المشاركة في التنازع، كما نلمح استخدام صيغة (فعيل) بدلًا من مفعول في قوله:فإذا المقاتل من أخيه قتيل...،فصغية (فعيل) تدل على الكثرة،أي كثرة القتل بين الأشقاء.

ونلمح–أيضًا– دلالة استخدام كلمة (طلول) في البيت الثالث كرمزعلى الخراب والدمار، فالشعر العربي القديم عرف كلمة (الطلل) كثيرًا، وارتبط بها –دائمًا– معنى الخراب ومحو الأثر ، وأصبحت رمزًا عليهما ، ومنها جاءت ظاهرة الوقوف على الأطلال في هذا الشعر ، وهنا أسهمت الكلمة في رسم صورة سوداوية عما آل إليه حال العرب وأرضهم ، التي أصبحت خرابًا وأطلالًا بسبب تشاغلهم وتنازعهم فيما بينهم.

كما نلمح الوزن الصرفي لكلمة (طلول) فهى جمع على وزن (فعول) وهو من أوزان صيغ المبالغة في اللغة العربية ، فلم يشأ الشاعر أن يختار الجمع (أطلال) ، وإنَّما اختار الجمع (طلول) لقوة رمزيتها ودلالتها على شدة الخراب ومحو الأثر.

وهنا تبرز قيمة الاختيار من بدائل لغوية متعددة وفق ترتيب المعاني في النفس ، وهو ما يعرف بالأسلوب ، فالأسلوب "معان مرتبة قبل أن يكون ألفاظًا منسقة ، وهو يتكون في العقل قبل أن ينطق به اللسان أو يجري به القلم" [١١١]ولاشك، أنَّ كلَّ شاعر يضفي على أسلوبه خصوصية وميزة ، يتفرد بها ، ويتميز بها عن غيره، " فالذاتية هي أساس تكوين الأسلوب"[١١٢] ، كما أنَّ الأسلوب "هو الألقُ الشخصي لفرادة الشاعر والمنشئ [١١٣]، ولذلك فإنَّ "التوفيق في بناء العمل الفني أصعب منالًا من الوقوع على المضمون الصالح"[١١٤]

١١٤– الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)–أحمد الشايب– ط٨ مكتبة نهضة مصر –١٤١١هـ/١٩٩١م–ص٤٠

[112]-المرجع نفسه ص /١٣٤

[113]-النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق–عدنان بن ذريل–منشورات اتحاد الكتاب العرب–٢٠٠٠ م دمشق– ص١٣

١١٧––الشعر العربي المعاصر(قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية) مرجع سابق ص ٢٥

وفي البيت الثالث استعان الشاعر بآلية التناص للتحذير من عاقبة الاختلاف ، فقد تناص هنا مع ثلاث آيات من القرآن الكريم ، وهى قوله تعالى في سورة (الأنفال):"ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحُكم٠٠٠٠"[١١٥]، والريح هنا بمعنى القوة ، والآية الثانية في سورة الحجرات :"ولاتنابذوا بالألقاب بئس الاسم الفُسوقُ بعد الإيمان"[١١٦]، والآية الثالثة في سورة الفيل "فجعلهم كعصف مأكول..."[١١٧]، وهكذا تبرز لنا أهمية التناص في إعادة إنتاج معنى الكلمات من جديد،"فكل كلمة في النص هي تكرار واقتباس من سياق تاريخي إلى سياق جديد"[١١٨]

ثم نلمح دلالة النداء في قوله:يا ذُلَّ قومٍ٠٠٠على التحسر والتهكم ،فالنداء هنا خرج عن أصله ليؤدي دلالات أخرى تعبر عن الموقف الشعوري المتأزم عند الشاعر.

وهنا ندرك أهمية استعمال النداء استعمالًا مجازيًا في التعبير عن المعاني المختلفة عند الإنسان، فالنداء من الأساليب ذات الثراء والتنوع في الاستعمال سواء في القرآن الكريم أو في الأدب العربي ،فعلي الرغم من أنَّ الأصل فيه "أن يكون حقيقةً يا ،أي يكون فيه المنادي اسمًا لعاقل ، كي يكون في استدعائه وإسماعه فائدة"[١١٩] ، فقد"نودى العاقل وغير العاقل والحي والجماد والغائب والحاضر،"[١٢٠].

ثم هناك بعدٌ رابع من أبعاد سخرية الشاعر وتهكمه من زعماء العرب ، وهو إذلالهم لشعوبهم واحتقارهم إياهم ، فيقول:[١٢١]

---

[١١٥]–سورة:الأنفال–آية ٤٦

[١١٦]–سورة الحجرات:آية ١١

[١١٧]–سورة القيل –آية:٥

[١١٨]-- الخطيئة والتكفير (من البنيوية إلى التشريحية :نظرية وتطبيق)– د/ عبد الله الغذامي– ط٦ – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء– المغرب – ٢٠٠٦م ص /٥٣

[١١٩]–النحو الوافي– مرجع سابق/٥/٤

[١٢٠]–دلالات التراكيب:–مرجع سابق ص ٢٦٦

[١٢١]–انظر:شعب أبابيل ص٦٨

والنَّاسُ في عُرْف الزعيم بيادقُ	وعطاؤهم مثل القطيع جــزيلُ
وترى المواطن دون سكرٍ شاردًا	لكأنَّــه أو أنَّه مخبـــــولُ
والشعبُ إذا ضلَّ الصراطَ سُواتُه	عصفتْ به الأحداثُ وهى تَصولُ
وتعثرتْ في سيره خُطواتُه	فتماثل الإيهامَ والمعقـــــــولَ
ويروح يبحث في المُحال عن السُدى	وعليه من فرط الضيـاع ذُهولُ
فإذا العدُو على الشقيق مفضـل	وكذا الحقائق ملؤها التضليــلُ

نلحظ أن الأبيات تقدم لقطة أخرى من سُخرية الشاعر وتهكمه من حُكَام العرب بسبب إذلالهم للمواطن العربي ، وجعله مهمومًا دائمًا مشغولًا كأنَّه في سكر أو مخبولٌ لايدري ما يجري حوله، والشاعر يتناص هنا مع قوله تعالى في سورة الحج في معرض الحديث عن أهوال يوم القيامة "وترى الناسَ سُكارىَ وما هم بسُكارى ولكنَّ عذابَ الله شديد... "[١٢٢]

وقد أفاد التناص هنا تبشيع الحالة التي أصبح عليها المواطن العربي بسبب إهمال حكامه له ، يؤكد ذلك المعنى قول الشاعر:وعليه من فرط الضياع ذُهُول...، والذهول هو شرود العقل من الإنسان من هول ما فيه ، ومنه قوله تعالى قبل الآية السابقة في معرض الحديث عن هول يوم القيامة "يوم ترونها تَذهلُ كُلُّ مُرضعةٍ عمَّا أرضعتْ وتضعُ كُلَّ ذات حمل حملها[١٢٣]،كما نلمح جمالية التقديم في قوله:من فرط الضياع...، حيث لفت الشاعر النظر إلى سبب الذهول ، كما أنَّ كلمة (فرط) أوحت بالكثرة،

وهكذا تعددت أبعاد السخرية والتهكم من حُكَام العرب وزعمائهم عند الشاعر، بتعدد مواقفهم المُخزية والمحرجة من قضية الوطن فلسطين سواء كان ذلك على

[١٢٢]-سورة الحج آية:٢

[١٢٣]-الحج آية:٢

DOI : : 10.12816/0053048

مستوى العمالة مع العدو ،أو التخاذل والتراجع عن نصرة هذا الوطن ، أو على مستوى السقوط الأخلاقي ،واللهو والعبث بمقدرات الشعوب و المسلمين.

ومن الُملاحظ أنَّ السخرية من حُكَّام العرب وزعمائهم شغلت مساحةً أكبر مما شغلته مساحة السخرية من العدو الأساس وهو العدو الصُهيوني ، مما يدل على أنَّ عدو الداخل بات أخطر –في نظر الشاعر– على قضية فلسطين من عدو الخارج ، وأنَّ الأخير يستمد قوته وبقاءه من خيانة الأول لعروبته وإسلامه، وفي ذلك رسالة خطيرة يرسلها الشاعر إلى القارئ والمتلقي، وهنا تظهر سيميولوجية الخطاب في القصيدة.

المبحث الخامس :
التجربة النِضالية وخِطابُ الترقب في القصيدة:

أسهمت تجربة أطفال الحجارة في المقاومة والصمود في صناعة حالة (الترقب) في القصيدة ، فقد اتخذ الشاعر من هذه التجربة منطلقاً يترقب من خلاله إمكانية التحول والتغيرفي حالة الوطن فلسطين، ونقله من وضعية الذل والانكسار إلى وضعية العز والانتصار، ليتحول الخطاب في القصيدة من مجرد تعبير عن أزمة إلى استشراف لمستقبل ، وكأّن تجربة هؤلاء الأطفال في النضال والصمود أمام العدو كانت بمثابة المعطيات التي بنى عليها الشاعر توقعاته بالنصر ورؤيته المتفائلة لمستقبل هذا الوطن، أو هى الباعثة للأمل في نفسه، لأنّها عكست وعى الشعب الفلسطيني بكل مكوناته بعدالة قضيته وإصراره على القصاص لوطنه ممن اغتصبه ، فالقضية ليست في قوة السلاح فقط بل في قوة الوعي أيضًا.

وقد تجلت حالة الترقب هذه في القصيدة في استدعاء الشاعر المتكرر لوعد الله للمجاهدين في سبيله تعالى بالنصر والتأييد كما في القرآن الكريم ، فقال مخاطبًا طفل الحجارة:[١٢٤]

فاصبرْ لُحكمِ اللهِ فهو مؤكّدٌ والصبرُ في شرك النِزال جميلُ

نلحظ أنّ الشاعر قد استخدم هنا آلية التناص التي أتاحت له الانفتاح على نصوص القرآن الكريم ،فقد تناص في هذا البيت مع قوله تعالى في سورة الطور(واصبرْ لحكم ربك فإنَّك بأعيينا...) [١٢٥]،ومع قوله تعالى في سورة(القلم)

[١٢٤]-انظر:شعب أبابيل /ص٦٧

[١٢٥]-سورة الطور-آية٤٨

"فاصبرْ لحُكم ربك ولاتكنْ كصاحبِ الحوت..."[١٢٦]، ومع قوله تعالى في سورة الإنسان:"فاصبرْ لحكم ربك ولاتُطعْ منهم آثمًا أو كَفورا"[١٢٧].

وقد أفاد التناص مع هذه الآيات الكريمة التثبيت والربط على القلوب ، وترقب النصر ،لكون الحكم من الله وليس من أحد سواه، وهذا أدعى للاطمئنان من جانب العبد والتسليم لأمر صاحب الحكم ، لأنَّه لم يكن الله لُيضيِّع عبده أبدًا.

ونلحظ المعنى ذاته في قوله:[١٢٨]

وُعِدتَ بنصر اللهِ وهو مؤكّدٌ فكلامُه في صدقِه تحصيلُ

وفي قوله:[١٢٩]

في الدهر درسٌ لادوامَ لظالمٍ وكذا الأمورُ على الدوام تدولُ

ولِكل طاغٍ في مداه نهايةٌ ولِكُلِ جرمٍ ومضةٌ فأُفُـــــــولُ

فقد تناص الشاعر هنا مع قوله تعالى في سورة آل عمران:"وتلكَ الأيامُ نُداولها بين النَّاس..."[١٣٠] ، كما أنَّ الشاعر قد استعان في الأبيات بآلية التقديم والتأخير ، وهو لون من الانزياح التركيبي يندرج تحت محور التوزيع في المنهج الأسلوبي ، يلجأ إليه الشاعر لإنتاج المعنى والدلالة ، فالتقديم والتأخير ،"تقنية أسلوبية ،للتلاعب بالوضعيات التعبيرية"[١٣١]، وهو يمثل "عاملًا مهمًا في إثراء اللغة الشعرية وإغناء التحولات الإسنادية التركيبية في النص الشعري ،مما يجعله أكثر

---

[١٢٦]-سورة القلم:آية٤٨

[١٢٧]-سورة الإنسان ٢٤

[١٢٨]-انظر:شعب أبابيل/٧٣

[١٢٩]-انظر:نفسه/٧٢

[١٣٠]-سورة آل عمران: آية/١٤٠

١٢٧--معجم المصطلحات الأدبيةالمعاصرة(عرض وتقديم وترجمة) – د/ سعيد علوش – ط١ دار الكتاب اللبناني –بيروت –لبنان –الدار البضاء –المغرب ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ١٧٥

حيوية ، ويبعث في نفس القارئ الحرص على مداومة النظر في التركيب ، بغية الوصول إلى الدلالة بل الدلالات الكامنة وراء هذا الاختلاف "[١٣٢].

ويأتي التقديم والتأخير في سياق أغراض بلاغية مثل الاهتمام بالعنصر المقدم ولفت النظر إليه، لأنه يقع في النفس أولًا من العنصر المؤخر، أو قد يكون التقديم والتأخير "مراعاة لمعنى معين ،وليس للاهتمام والعناية فقط"[١٣٣]، أو قد يكون ضربًا من التوسع في الكلام ومراعاة الأسجاع.[١٣٤]

وقد سبق عبد القاهر الجرجاني إلى الإشارة إلى جمالية التقديم والتأخير في ا لكلام فقال: " إنَّه جُم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعه ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعه ،ويلطف لديك موقعه ،ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قُدِّم فيه شئ، وحُوِّل اللفظُ عن مكان إلى مكان"[١٣٥].

ففي البيت الأول قدم الشاعر الجار والمجرور(في الدهر) على كلمة (درس) ليحيل القارئ والمتلقي إلى شهادة الدهر على نهاية الظالمين ، وهى شهادة ماثلة أمام أعين الجميع ، وفي البيت الثاني قدم الجار والمجرور في قوله (ولكل طاغٍ) للفت النظر إلى هذا العنصر المقدم وهو (كل طاغ)، وفي ذلك رسالة تحذير منه للعدو وأعوانه.

---

[١٣٢]–من دلالات الانزياح التركيبي وجمالياته في قصيدة "الصقر"لأدونيس–د/عبد الباسط محمد الزيود–مجلة جامعة دمشق–المجلد ٢٣–العدد الأول ٢٠٠٧م :علي الموقع الانترنت
http://www.damascusuniversity.edu.sy/mag/human/old/human/2007/23-1/6-%2520al-zayud.p ص ١٦٤

[١٣٣]–ا الجملة العربية تأليفها وأقسامها–دفاضل صالح السامرائي–ط٢–دار الفكر–عمان– الأردن–١٤٢٧/٢٠٠٧هـ:ص ٤٨

[١٣٤]–انظر نفسه:ص٤٩

١٣١–دلائل الإعجاز – مرجع سابق ص /١٠٦

DOI : : 10.12816/0053048

ومن أمثلة خطاب الترقب في القصيدة –أيضًا– قول الشاعر متوعدًا أعداء الوطن:[١٣٦]

وبهم يحيق ،ولوتأخر، مكرُهم إلهُ خيرُ الماكرين جليـــــلُ

لاريبَ في وعد الإله وعهده ولو اقتضى في حكمه التأجيلُ

سننُ الإله على الأنام فريضةٌ مهما أتى في شرحها التأويلُ

نلحظ أنَّ الشاعر قد استعان بآلية التناص–أيضًا– لإنتاج الدلالة ، فقد تناص في البيت الأول مع قوله تعالى "ولايحيقُ المكرُ السيئُ إلَّا بأهله"[١٣٧] ، وقوله تعالى:"ويمكرون ويمكر اللهواللهُ خيرُ الماكرين"[١٣٨]، وقد أفاد التناص هنا التهديد والوعيد.

وفي البيت الثاني تناص الشاعر مع قوله تعالى"إنَّ وعدَ الله حق..." [١٣٩]، وقوله نعالى:"ولاتحسبنَّ اللهَ غافلًا عمَّا يعملُ الظالمون ،إنما يؤخرهم ليومٍ تشخصُ فيه الأبصار..."[١٤٠]

ثم نلمح أهمية الفصل والاعتراض بين أركان الجملة في البيت الأول ، فقد تم الفصل والاعتراض بين الفعل (يحيق) والفاعل (مكرهم) بقوله (ولو تأخر...) بغرض التأكيد على أنَّ عقاب الله ومكره بالظالمين آت ولو تأخر ، لأنَّ التأخير هو إمهال وليس إهمالًا، وفي ذلك تهديد ووعيد للمخاطبين في البيت وهم أعداء الوطن، وفي ذلك– أيضًا– تثبيت لكل من يستبطأ النصر من الله تعالى من جانب المؤمنين.

وهنا تبرز قيمة الاعتراض بين ركني الجملة في إنتاج المعنى والدلالة ، ولذلك يجب"أن لاننظرَ إلى هذا الجزء المقحم سواء أكان مفردًا أم كان مركبًا على أنَّه

---

[١٣٦]–انظر:شعب أبابيل ٧٥

[١٣٧]–سورة– فاطر آية٤٣

[١٣٨]–سورة– الأنفال آية:٣٠

[١٣٩]–سورة:لقمان:٣٣

[١٤٠]–سورة:إبراهيم–٤٢

عنصر غريب عن جسد النص أو كلام زائد يمكن الاستغناء عنه دون أن تتأثر الدلالة الشعرية، بل هو بنية نصية فاعلة لها أثرها الدلالي وقيمتها الفنية، فالشاعر لايأتي به إلا لتحقيق بعد دلالي جديد يعمل على إثراء الدلالة العامة للنص ويساهم في توسيع فضائه الشعري"[١٤١].

وقد ذكره ابن جني في باب (الاعتراض) [١٤٢]، فقال: "والاعتراض في شعر العرب ومنثورها كثير وحسن ، ودالٌ على فصاحة المتكلم وقوة نفْسه ونَفَسه"[١٤٣].

فكل هذه الأبيات السابقة وغيرها مما لم يذكرها البحث كشفت عن حالة ترقب الشاعر للنصر والتغيير ، لاسيما وأنَّ مرجعيته في ذلك وعد الله لأهل الحق بالنصر والتأييد ، وهو وعد لايتخلف أبدًا كما هو ثابت في القرآن الكريم.

ويصل خطاب الترقب هذا إلى قمته في نهاية القصيدة من خلال استخدام الشاعر لحرف الجر (رُبَّ)[١٤٤]، متصلًا بـ (ما) الكافة في آخره التي تكفه عن وظيفته الأساسية وهى (جر الاسم)، ومتصلًا –أيضًا– بلام التأكيد في أوله كما في قوله(فلُربَّما) ، مكررًا إيَّاه عشرين مرة :، فقال مخاطبًا طفل الحجارة:[١٤٥]

فاثبتْ وصابرْ ،لأبا لك، ترتجى واسمعْ بقلبك ما مرادُ يقولُ

ستظلُ تصرخُ في الكتاب قصائدي وأضجُ في ترديدها وأُطيلُ

ويظل صوتي مُرعِدًا في وقرهم فلُربَّما لبَّى النداءَ قبيلُ

ولُربَّما أحيا الرجاءَ بيأسهم صوتٌ تغرَّبَ بحَّه التعويلُ

لُربَّما نضبت دموعُ بكائه مصابُه طئ الضلوع حليلُ

---

[١٤١]-الشعرية في النقد العربي الحديث دراسة:في النظرية والتطبيق–د/حامد سالم درويش الرواشده–رسالة دكتوراه –جامعة مؤته –الأردن–٢٠٠٦م–الموقع علي الانترنت:http://www.mohamedrabeea.com/books/book1_17036.pdf–ص٢١٢

[١٤٢]–انظر:الخصائص: صنعة أبي الفتح عثمان بن جني – تحقيق د/محمد علي النجار–المكتبة العلمية(د–ت) /٣٣٥

[١٤٣]–انظر:نفسه :٣٤١/١

[١٤٤]- انظر في أحكام (رُبَّ):النحو الوافي –مرجع سابق٢/٥٢٢وما بعدها

[١٤٥]–انظر:: شعب أبابيل /ص:٧٧،–٧٨

لُربَّما قض المضاجعَ قرعُه ... وبغير ما قد بشتهون يَكيلُ

ولُربَّما وخز الضمائرَ شعرُه ... لتعود تحيا في النفوس عُقولُ

ولُربَّما من بعد ألف مثلها ... رُثى لنا فيغيثنا مسؤولُ

ولُربَّما يروى غليلَ صدورنا ... يُمِدُّ في عمر الرجا ويطيلُ!

ولُربَّما لبَّى الكُماةُ نِداءَه ... وُحداهُم التكبيرُ والتهليلُ

ولُربَّما رصوا الصفوف لندبة ... ليخفَّ حِملٌ مُرْهِقٌ وثقيلُ

ولُربَّما من يمتطون بِغالهم ... رسائلُنا تبرى لهم وخيولُ

ولُربَّما من بعد طول نهيقهم ... يخلو لسمع الصابرين صهيلُ

ولُربَّما من يرقصون لموتنا ... فعليهم نحن التراب نُهيلُ

ولُربَّما من بعد يقظة سادر ... كُشِفَ الغِطاءُ فعاهرٌ وهجولُ

لُربَّما بدتْ الوجوهُ جليةً ... فِصابةٌ مأجورةٌ وذُيولٌ

ولُربَّما من يقرأون تراثنا ... أثنوا على ما أرَّخَ التسجيلُ

ولُربَّما بلغ المُرادُ مُرادَه ... فلتحفظوا ماذا المُرادُ يقولُ

فلُربَّما تبقون ذكري بينكم ... حيًّا لأني لستُ فيه أزولُ

ولُربَّما...ولُربَّما...أورُبَّما... ... فاقذف حصاك فإنَّها سجيلُ

نلحظ أنَّ الشاعر يترقب تغير الوضع الذي عليه وطنه من خلال تكرار حرف الجر (رُبَّ) عشرين مرة متوالية وفي صورة رأسية كما سبق الإشارة ، صنعت لونًا من الوحدة العضوية بين الأبيات ، فقد أسهم التكرار لهذا الحرف في توسيع رقعة التوقعات والآمال عند الشاعر، فجعلها تشمل كافة المستويات : السياسية و العسكرية والحربية والإنسانية ، فقد عبر كُلُّ تكرار عن ترقب في مستوى معين مما يعطي لهذا الحرف دلالة التكثير أو التحقيق ، لاسيما وأنَّ

الشاعر قد خرج به من إطار الاسم إلى إطار الجملة ، وحمَّله دلالات متعددة تتسع لما يجيش في صدره من معان ومشاعر.

فقد ترقب الشاعر أن تحدث قصيدته هذه (شعبٌ أبابيل) أثرها في القلوب والأسماع ، فتحرك الهمم والعزائم لنجدة وطنه في إشارة منه إلى أهمية رسالة الشاعر في المجتمع ودوره في إمكانية إحداث التغيير في المجتمعات والأوطان ، ويكفي في ذلك قوله :

ستظلُ تصرخُ في الكتابِ قصائدي وأضجُّ في ترديدها وأُطيـلُ

فقد جعل الشاعر من قصائده إنسانا يصرخ ويصيح بأعلى صوته من أجل إنقاذ وطنه من مأساته، وفي ذلك انزياح دلالي مهم أحدث شعرية في البيت، فالصراخ من خصائص الإنسان ، وعندما ينقله الشاعر من مجاله الرئيس وهو الإنسان أو الكائن الحي بصفة عامة إلى القصائد فهو بذلك يشخصها ، ويضفي عليها طابع الأنسنة،و معناه "إفراغ المعاني الإنسانية على غير الإنسان،وصيرورتها بذلك أناسيَّ تجد ما يجده الإنسان"[١٤٦]، فتصبح هذه المعاني مائلة أمام عين القارئ والمتلقي وتفعل فيهما فعلها، ولايتم ذلك إلا بفضل الاستعارة التي ترينا"الجماد حيًّا ناطقاً،والأعجم فصيحًا،والأجسام الخرس مُبينةً ، والمعانى الخفية باديةً جليةً ."[١٤٧]

وقد أطلق البعض على هذا النوع من الانزياح "انزياح النص عن الشيفرة اللغوية المتعارف عليها"[١٤٨] ، و أطلق عليه البعض الآخر"كسر دلالة المفردات الأولية"[١٤٩]، حيث يؤدي "كسر دلالة المفردات الأولية إلى الانتقال إلى المستوى المجازي في التعبير، وذلك باستخدام المفردات في غير مواضعها التي يحددها لها

١٥٣-دراسة في البلاغة والشعر- د/محمد محمد أبو موسي-ط١-مكتبة وهبة-القاهرة-١٤١١هـ-١٩٩١م-ص٥٢ -

١٥٤-أسرار البلاغة—عبد القاهر الجرجاني -تعليق محمود محمد شاكر-ط١-مكتبة الخانجي-القاهرة-١٩٩١ص٣٤

[١٤٨] -الأسلوبية وتحليل الخطاب -د/منذر عياشي – ط١ مركز الإنماء الحضاري – بيروت -٢٠٠٢ م ص٧٧

[١٤٩] – النحو والدلالة(مدخل لدراسة المعني النحوي -الدلالي-)-د.محمد حماسة عبد اللطيف-ط١-دار الشروق-القاهرة-١٤٢٠.هـ/٢٠٠٠م -ص ٥٨

معدل الاستعمال ،بل في مواضع جديدة ومقبولة في الوقت نفسه"[١٥٠]،وأُطلق على الانزياح الدلالي –أيضًا– الانحراف في الخصائص الاختيارية[١٥١] الذي "يتم بناءً عليه إنشاء علاقات جديدة بين كلمات من مجالات دلالية مختلفة لاعلاقة بينها في الواقع ."[١٥٢] ، وهو ما يشكل في النهاية المجاز في اللغة الذي هو نتاج"الإخلال بالعلاقات الدلالية التركيبية المعهودة بين المفردات في نظام اللغة غير الفنية"[١٥٣]

وبالعودة إلى التكرار لحرف الجر(رُبَّ) في الأبيات السابقة ، نلمح أنَّه أسهم في إنتاجالدلالة المقصودة عند الشاعر ، وفتح له آفاقًا رحبة للتنفيس عن المكبوت بداخله، وجعله يتحول بالمعنى كيف يشاء ، فهو يجعل من خطاب الترقب وسيلة للتشفي من أعداء وطنه ، وإظهار الشماتة فيهم، كما في قوله:

ولُربَّما من يمتطون بِغالهم فرساننا تُبَرى لهم وخيـــــولُ

ولُربَّما من بعد طول نهيقهم يحلو لسمع الصابرين صَهيلُ

ولُربَّما من يرقصون لموتنا فعليهم نحن التراب نهيلُ

ولُربَّما من بعد يقظة سادر كُشِف الغِطاءُ فعاهرٌ وهجولُ

ولُربَّما بدتْ الوجوه جليةً فِصابةٌ مأجـــورةٌ وذُيولُ

فالتكرار من الظواهر الانزياحية المهمة في فضاء النص الشعري على اعتبار أنَّ الانزياح هو كل عنصر أسلوبي يبتعد عن مستوى اللغة المعيارية ، ويحدث نوعًا من التأثير والإثارة في السامع والمتلقي ، بل إنَّ بعض الباحثين اعتبر غلبة عنصر لغوي ما، وشيوعه في النص دون العناصر اللغوية الأخرى انزياحًا في

---

[١٥٠]–المرجع نفسه/نفس الصفحة

[١٥١]–انظر:ظواهر نحوية في الشعر الحر(دراسة نصية في شعر صلاح عبد الصبور) مرجع سابق – ص ٢٠

[١٥٢]–المرجع نفسه /نفس الصفحة.

[١٥٣]–في التشكيل اللغوي للشعر – مرجع سابق / ص١٢٧

هذا النص ، حتى ولو كان هذا العنصر الغالب في إطار المستوى المعياري للغة[١٥٤]،أي أنَّ تواتر عنصر لغوي ما وتكراره في النص هو انحراف جدير بالرصد.

ثم نلحظ قيمة الحذف في البيت الأخير ،فقد كرر الشاعر (فلُربَّما...) ثلاث مرات دون أن يذكر شيئا ، ليترك النص مفتوحًا ليحمل المزيد من التوقعات والترقبات ، ويتيح للقارئ والمتلقي فرصة التأويل والقراءة المنتجة على أساس أنَّهما شريكان في إنتاج النص.

فالحذف" لون من الانزياح التركيبي"[١٥٥]، ولون من الانزياح الكتابي-أيضًا-[١٥٦]، وأحد الأدوات الأسلوبية المهمة التي يعتمد عليها الشعراء في الإفصاح عما في خواطرهم ، تأسيسًا على قاعدة أنَّ عدم الذكر قد يكون أكثر تعبيرًا عن الذكر نفسه.،كما أشار عبد القاهر الجرجاني في قوله:" هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح عن الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد من الإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تبن، ورب حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد"[١٥٧].

وقد ذكره ابن جني في باب:(في شجاعة العربية)[١٥٨]، وقال عنه:"فقد حذفت العرب الجملة ، والمفرد ،والحرف ، والحركة ، وليس شئٌ من ذلك إلَّا عن دليل عليه "[١٥٩]

---

[١٥٤]-انظر:ظواهر نحوية في الشعر الحر(دراسة نصية في شعر صلاح عبد الصبور)— د/محمد حماسة عبد اللطيف-دار غريب القاهرة-٢٠٠١م ص ١٤٣

١٦٢-الظواهر الأسلوبية في شعر نزار قباني- د/الحلوحي صالح -بحث منشور بمجلة كلية الآداب واللغات —جامعة محمد خيضر-سكرة-الجزائر-العدد٨-٢٠١١-ص٢- الموقع علي الانترنت

http://univ-biskra.dz/fac/fll1/images/pdf_revue/pdf_revue_08/lahlouhi%2520saleh.pdf

[١٥٦]-انظر: الانزياح الكتابي في الشعر العربي المعاصر(دراسة ونقد) د/علي أكبر محسني —مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها — جامعة سمنان الإيرانية —جامعة تشرين السورية — السنة الثالثة- العدد الثاني عشر — ٢٠١٣م

:الموقع:http://www.mohamedrabeea.com/books/book١٩٥٤٦_١.pdf

١٦٤-دلائل الإعجاز مرجع سابق ص/١٤٦[١٥٧]

[١٥٨]-انظر:الخصائص —مرجع سابق:٢/٣٦٠

[١٥٩]-المرجع نفسه /نفس الصفحة

فالحذف في البيت الأخير من القصيدة مقصود لذاته من جانب الشاعر ، و صدر عن عقلية واعية بأهميته في التعبير عن المزيد من المعاني المكبوته عند صاحب هذه العقلية وهو الشاعر ، وفيه إشارة للقارئ والمتلقي مفادها أنَّ الشاعر يحبس في نفسه المزيد والمزيد من الترقبات والأمنيات التي لايتسع لها أي نص ، ومن هنا كان الحذف– " وسيلة من وسائل اتساع النّص؛ لأنه يلعب دورًا رئيسًا في عملية التنبيه والإيحاء، ويثير ذهن المتلقي ويحمله على الحفر في عمق العبارات والتراكيب، الأمر الذّي يجعلها تتسع من الداخل وتفرز شحنات دلالية كثيفة، وثمة تكمن الجمالية ومتعة القراءة التي تحدث عنها رولان بارت."[١٦٠]، والسبب في ذلك أنَّ " النص الفني يمارس تأثيره بما ينقصه ويوحي به، وليس فقط بما ينجزه ويثبته في البنية السطحية"[١٦١]

ونخلص مما سبق عرضه إلى القول بأنَّ خطاب الترقب في القصيدة هو أحد ثمرات تأثر الشاعر بتجربة الصمود والنضال عند أطفال الحجارة بفلسطين ، فقد خلقت هذه التجربة عنده حالة من الانتظار والترقب للنصر والتغيير، وجعلته ينهي القصيدة نهاية مفتوحة تتناسب وحجم التطلعات والترقبات والآمال التي يحبسها في نفسه والتي تتناسب–أيضًا– والحالة الشعورية عنده وحجم تأثير التجربة النضالية عند أطفال الحجارة في نفسه ، ورؤيته لها واعتماده عليها في استنباط النتائج.

نتائج الدراسة:

١–شكلَّت التجربة النضالية عند أطفال الحجارة بفلسطين مصدر إلهام وإلهاب للشاعرأحمد عيد رضا مرلا في قصيدته (شعبٌ أبابيل) ، فقد كانت منطلقً ا له للتعبير عن مواقفه تجاه قضية وطنه (فلسطين) بأبعادها المختلفة ، مما يدل من ناحية أولى على الصدى الذي أحدثته هذه التجربة في نفوس الشعراء

١٦٧-- جمالية الحذف من منظور الدراسات الأسلوبية– د/محمد ملياني – بحث منشور في مجلة الكلمة–العدد ٧٦–السنة التاسعة عشرة ٢٠٧–منتدي الكلمة للدراسات والأبحاث –٢٠١٢م/١٤٣٢هـ الموقع –([١٦٠]ww.w.Kalema.net

١٦٨–المرجع نفسه/بدون رقم صفحة

المعاصرين ، ومنهم شاعر الدراسة ، ويدل من ناحية ثانية على أنَّ قضايا الأوطان بصفة عامة وقضية (فلسطين) بصفة خاصة من أكثر القضايا إلهاًما وإلهاًبا لعواطف الشعراء في العصر الحديث بالذات، لما يمثله الوطن من قيمة في هذا العصر لم تكن متبلورة قديًما، ويدل من ناحية أخرى على أنَّ التجربة الأدبية عند الشاعر أو الأديب بصفة عامة ليست وليدة الصدفة ، إنَّما هى نتاج تفاعل مع المواقف الحياتية المختلفة، سواء كانت مواقف سياسية أو اجتماعية أو غيرها من المواقف.

٢- شكلَّ الأسلوب بمحوريه أو بمكونيه (الاختيار والتوزيع) أداة الشاعر في التعبير عن التجربة النضالية ، فازدحم فضاء القصيدة بمجموعة من الأدوات الأسلوبية والجمالية كالتناص ، والرمز ، والانزياح ، والطلب ، والتكرار ، والحذف ، والتقديم والتأخير، مما أسهم في تحقيق الشعرية في القصيدة ، وخلق منها نصًا أسلوبًيا حقق الغاية من الإبداع وهو التأثير في عقل المتلقي وذهنه ، وإقناعه بعظمة التجربة النضالية عند أطفال الحجارة بفلسطين، وكشف عن قدرة الشاعر على توظيف العلامات اللغوية توظيفًا تداولًيا.

٣-أسهمت التجربة النضالية عند أطفال الحجارة في خلق فضاءات موضوعية مختلفة في القصيدة ، كفضاء العنوان ، وفضاء المقاومة، وفضاء البطولة ، وفضاء السخرية والتهكم ، وفضاء الترقب،مما أسهم في الثراء الموضوعي للقصيدة، وأطال النفس الشعري فيها، وأتاح للشاعر فرصة التعبير عن كثير من القضايا المتعلقة بقضية وطنه (فلسطين)

- استدعت التجربة النضالية النموذج القديم للشعر العربي(الجاهلي) في القصيدة المُعلَّقة، فقد غلب على ألفاظها وتراكيبها الصعوبة في الفهم مما يدل على رؤية الشاعر لهذا النموذج من الشعر من حيث قدرته-ألفاظًا وتراكيًبا- على التعبير عن الموقف الشعوري المتأزم عنده.

– خلقت التجربة النضالية عند أطفال الحجارة خطاًبا ثورًيا في الشعر العربي المعاصر كما هو الحال في قصيدة (شعبٌ أبابيل) التي كانت بمثابة صرخة الشاعر في وجه المجتمع الإنساني كله من أجل قضية وطنه فلسطين ، مما يدل على أنَّ رسالة الشاعر في العصر الحديث تجاوزت حدود النظرة التقليدية إلى الشعر والشاعر معًا ، وانتقلت إلى آفاق أخرى أرحب مثل التعبير عن قضايا المجتمعات وأزماتها السياسية والاجتماعية ومحاولة الإسهام في حلها.

٤– فرض التعبير عن تجربة النضال عند أطفال الحجارة بفلسطين على الشاعر ضرورة الانفتاح على النصوص الأخرى سواء من التراث أو من القرآن الكريم عبر آلية التناص للتعبير عنها والكشف عن عبقريتها ، مما جعل بنية القصيدة (شعبٌ أبابيل) بنية مفتوحة على تجارب الآخرين وغير مغلقة، الأمر الذي أثرى هذه البنية وبعث فيها الجدة والابتكار، وكشف في الوقت ذاته عن سعة اطلاع الشاعر لاسيما على النص القرآني.

– أكسب التعبير عن التجربة النضالية القصيدة المعلقة بعدًا آخر غير بعدها الجمالي والفني ، وهو البعد الوثائقي.

–بلورت القصيدة المعلقة(شعبٌ أبابيل) رؤية الشاعر(أحمد عيد رضا مراد) في حل قضية وطنه وهو خيار المقاومة.

– لفتت القصيدة المعلقة بموضوعها النظر إلى أهمية العناية بنماذج البطولة والاحتفاء بها ، لرفع الحالة المعنوية عند أفراد الأمة وحمايتهم من الوقوع في الانهزامية النفسية ،لاسيما في فترات الضعف والانكسار السياسي والعسكري.

٥–خلقت تجربة النضال عند أطفال الحجارة حالة من الترقب والأمل عند الشاعر في التغيير ، وجددت فيه حُلم العودة إلى وطنه رغم هجرته منه وبعده

عنه،مما يدل على أنَّ حياة المهجر ليست بديلًا عن الوطن بالنسبة للإنسان الفلسطيني عمومًا ، وبالنسبة لشاعر الدراسة خصوصًا.

٦-أبرزت القصيدة المعلقة البعد الحقيقي والمهم في قضية فلسطين وهو (البعد الديني)،فالصراع ليس صراعًا سياسيًا ،وإنَّما هو صراع عقيدة، مما جعل الشاعر يتناص مع كثير من آيات القرآن الكريم لاسيما التي تدعو إلى الجهاد في سبيل الله والصبر عليه، وانتظار النصر من الله تعالى.

٧-كشفت تجربة النضال عند أطفال الحجارة عن الحجم الحقيقي للعدوالصهيوني، وفضحت في الوقت ذاته تآمر حُكّام العرب وتخاذلهم عن نصرة قضية فلسطين.

٨-أرست تجربة النضال عندأطفال الحجارة بفلسطين مبدأ أهمية الاعتماد على الذات في حل قضايا الأوطان دون الاتكال على الآخرين.

٩-كشفت تجربة النضال عند أطفال الحجارة عن طبيعة الشخصية الفلسطينية من حيث الصمود والثبات على الحق لايضرهم في ذلك من خذلهم حتى يأتيهم أمر الله تعالى كما جاء في الحديث النبوي الشريف.